المشرق

# نظرٌ عامٌّ

## في احوال اليابان

نظر للاب جبرائيل لوفنك اليسوعيّ مدرّس التاريخ في كليّة القديس يوسف

قد أتجهت منذ زمن قريب كلّ انظار الممالك الى دولة اليابان المستحدثة فصارت بعد خمولها معدودةً في جملة البلاد الراقية سُلَّم الحضارة والتمدُّن لا يسع الدول الكبرى اغضاء الطرف عنها في فضّ مشاكل الشرق الأقصى. واليوم اذ اشهرت الحرب على امّة تُعَدّ في جُملة الامم الاولى اخذ ارباب السياسة يتباحثون في ما عسى ان يكون من امرها ولعلّها تلعبُ عمّا قليل في التوازن الاوربّي دورًا مهمًّا لم يكن في الحسبان. وبينما نحن على انتظار ما لا يزال محجوبًا في اسرار الكون اردنا ان نطلع قرّاءنا على احوال هذه الدولة ليكونوا من امورها على بصيرة

### ١ً موقع اليابان ووصفها الجغرافيّ

اليابان جزائر قائمة في وجه القارة الإسيويّة كأنها حَرَسٌ يصونها ويردّ عنها غارات الناوئين. أجل انها كلّها بالنسبة الى جارتها الصين كالطفل الصغير بازاء الجبّار لكنّها مع ذلك من اغرب بلاد المعمور في تركيبها الطبيعيّ وسكّانها وتاريخها ونهضتها الجديدة التي تجعلها في اعين كثيرين بمقام انكلترة في اوربّة فيدعونها بريطانية الشرق الاقصى

يدعو اليابانيون بلادهم نيپون وهو اسم اكبر جزائرهم كما سترى ومعناهُ الشمس الطالعة. امَّا يابان اسمها الشائع فقد اشتقُّوه من الصينية زيپن او جيپن. واهل الصين يعرفونها ايضًا باسم «جيبنكو» اي مملكة جيبن. وقد دعاها رشيد الدين الفارسي في القرن الثالث عشر «جمن كو» وسمَّاها البيروني قبلهُ في القرن العاشر جمكوت. وقال ابو الفداء (ص ٣٦٧ من تقويم البلدان): «جمكوت هي على النهاية الشرقيَّة مثل ما يحكى عن جزائر الخالدات في النهاية الغربية وليس شرقيّ جمكوت عمارة اصلًا واسمها عند الفرس جماكرد»

واليابان عبارة عن ٣٨٥٠ جزيرة يقوم في مركزها اربع جزائر كبيرة وهي: ١ شمالًا ياسو. ثم ٢ نيپون في جنوبها وجنوبها الغربي واليابانيون يدعون نيپون هُندو وفيها حاضرة الملك توكيو من اكبر عواصم المسكونة. ثم ٣ سيكوك و ٤ كيوسو. ومن جزائرها الصغيرة جزائر كوريل المواجهة لبلاد كمشاك شمالًا وجزيرتا سادو واوكي في بحر اليابان. وجزائر ريوكيو القريبة من فرموزة فيكون موقع اليابان بين العرض الشمالي ٢٤ و ٥١ والطول الشرقي ١٢٣ و ١٥٤ يحدها شرقًا وجنوبًا الاوقيانوس الباسيفكي وغربًا البحر المدعو باسمها

وكل هذه السلسلة الجزائرية كثيرة الجبال فيها البراكين المتعددة التي تتصل بالبراكين المحدقة بالبحر الباسيفكي كدائرة نارية. ومن ثم تتوفَّر في اليابان الطوارئ الطبيعية كالزلازل والانفجارات النارية والانخسافات. ولليابانيين في ذلك اقاصيص غريبة منها ما يخبرون عن طودهم الشاهق فوزياما الذي يبلغ علوهُ ٣٧٥٠ مترًا فانهم يزعمون انهُ خرج من اعماق البحر في ليلةٍ واحدة بينما كانت الارض تنخسف في مكان آخر وتكوَّنت بحيرة بيفا. وهذه الحكاية شهيرة عندهم يشيرون اليها في تصاويرهم وينقشونها على مراوحهم وانسجتهم وخزفهم. وفوزياما هذا اعلى براكين اليابان لهُ نهضات باغتة حينًا بعد حين فيملأ البلاد المجاورة رعبًا وهلعًا ثم يعود الى سُباتهِ وكان آخر انفجاراتهِ سنة ١٧٠٧ سجّى الأقطار المكتنفة حولهُ بكفنٍ من الحُمم والرماد بلغ سمكهُ ثلاثة امتار. واظلم بهِ الجوّ الى مسافة ٩٦ كيلومترًا فصار كالليل الحالك

ولسواحل اليابان هيئات غريبة اذ عملت فيها مياه البحار فنخرت صخورها وفتحت فيها الخلجان العميقة والاغوار المتسعة منها بحر كبحرنا المتوسط طولهُ ٤٠٠

كيلومتر من الشرق الى الغرب موقعهُ بين جزائر نيبون وكيوسيو وسيكوك فيهِ المناظر التي تروق العين وتسبي الفؤاد بمحاسنها الطبيعيَّة الرائعة

والهواء في اليابان معتدل اجمالًا لِما يحيط بهِ من البحار في كل جوانبهِ. وممَّا يزيد في اعتدال هوائها مجرًى حارٌّ من المياه يدعوهُ اليابانيُّون كوروسيفو وهو يسيل في البحر من جهات جزيرة فرموزة جنوبًا ويتَّجه من ثمَّ الى الشمال فيُدفئ كل شواطئ اليابان. وحرارة هذا المجرى ستّ درجات فوق حرارة بقيَّة مياه تلك البحار وهو كالمجرى الاتلنتيكي المعروف بالغُلفستريم (Gulfstream) وسرعة سيره في اليوم من ٥٥ كيلومترًا الى ٧٥ ك على حسب قوَّة الرياح ووجهتها لكنَّ بعض اقسام اليابان لا تنال من هذا المجرى الَّا نصيبًا زهيدًا فيقوى فيها البرد حتى ان ميزان الحرارة يهبط الى ١٩° تحت الصفر في جنوبي جزيرة يازو. وكذلك تختلف الامطار في اليابان فانَّ معدَّلها لا يقلّ في كيوسيو عن مترين و ٢٠ س امَّا يلسو فانَّ معدَّل المطر فيها اقلّ من بلادنا فلا يتجاوز ٧٠ سنتيمترًا ومع كثرة المياه في اليابان لا تجد الانهار لها مداها لتتَّسع وتنبسط واطول انهار اليابان سينانوغاغا لا يتجاوز طول سيره ٣٠٠ كلومتر وذلك لتقطُّع جبال اليابان واوديتها

واليابان لا يُعدّ من البلاد المخصبة الطيّبة التربة لكنَّ اليابانيّ ذو همَّة ونشاط فلم يدع من وطنه قسمًا الَّا عُني بزراعته واستثماره فتراه ليس فقط يُحسن حراثة السهول والبقاع بل أخصبَ جبالهُ نفسها بان نقل اليها بعد العناء والمشقَّة ما يحتاج الى حرثها من التربة والسماد ثم ابتنى على منعطفات الجبال جدرانًا تصون هذه التربة من جرف المياه. ذلك فضلًا عن الغابات التي تزين مشارف الجبال وفيها من ضروب الاشجار ما يندر وجود مثلها في غيرها من البلاد. ويمتاز بينها اصناف الصنوبر والسنديان والاشجار المخروطة الشكل سيَّما نوعًا من الشربين يتفاخر بهِ الاهلون. واكثر ما يُعنى اليابانيُّون بزراعتهِ الأرزّ يشغل سدس مزدرعاتهم وهو قوتهم اليوميّ

وكذلك لبلادهم ركائز معدنية تغنيها. وقد وصفها مركو باولو اوَّل السيَّاح الذين عرَّفوا اليابان للاوربيين بكونها وافرة الذهب كثيرة اللؤلؤ والبرتوغاليُّون عدُّوا هذه المعادن الذهبية زمنًا طويلًا وقد وُجد فيها من مناجم الفحم ما يُعدّ اليوم من اعظم ثرواتها فانَّ الفحم الحجري في ٣٥ ايالة بين ٣٨. وفحم جزيرة يلسو يفوق على كل اصناف الفحم المعدني المعروف. وكذلك يستخرج اليابانيُّون من بلادهم الحديد والنحاس

## ٣ً اصل اليابانيين واخلاقهم ولغتهم

ان سكّان اليابان ليسوا اخلاطاً من عناصر متباينة كما في بلاد غيرها بل تراهم في مسافة عشر درجات من العرض متشابهين في سحنة الوجه واللغة والعادات وهم يزعمون ان نسبهم واحدٌ. وما تقرَّر لدى العلماء ان اصلهم لا يختلف عن اصل اهل سيبيرية وشعوب آسية الشرقية. وبين المغول والتتر والصينيين واليابانيين تشابه عظيم حتى ان النسّابين يعدّونهم من سُلالة واحدة وهي السلالة الصفراء التي اختصّت بسواد شعرها وتسطّح وجهها وحَوَص عيونها ونتوء وجناتها وضخم شفاهها وخفّة لحاها (١

والياباني مطبوع على لين العريكة وطول الاناة والقناعة وحب النظام والتروّي في الامور واصابة الرأي والميل الى العلوم وطلب الشرف والرغبة في الترقّي. وكذلك قد خُصَّ الياباني بالتحفّظ والتصوّن فلا يظهر ما يغلب عليه من اهواء النفس كالغضب والحنق والسأم. ومما امتازت به الأسر اليابانية وقار الاولاد لوالديهم وخضوعهم لاصحاب السلطة ويبلغ بهم هذا الوقار الى حدّ بعيد وربّما غلب عندهم على عاطفة الحب. فانّ الياباني يتصوّن لامرأته وبنيه حتى انه يخجل لو اظهر لهم شواعر حبّه. وكذلك الامّ قلّما تبين لطفلها حبّها الوالدي فلا تكاد تراها تقبّله او تبشّ له. ومما يؤخذ على الياباني كبرهُ وعتوّهُ فانهُ يعتبر نفسهُ فوق غيره ويهزأ بمن سواهُ

امّا المرأة اليابانية فانّ مقامها فوق مقام المرأة الصينيّة لها في بيتها ملء الحريّة تُعنى في تربية اولادها وتدبير اهل دارها. وحالة البنات مرضيّة في بيت والديهنّ. لا يُعصر عليهنّ كما في الصين ولا تُضغط ارجلهنّ. ويقوم اهلهنّ بتثقيفهنّ منذ حداثة سنّهنّ ويعلّموهنّ كل ما يحتجنَ اليه من تدبير المنزل. امّا زواجهنّ فيتمّ برضى الاسرتين دون ان يُطلب رضى الابنة. واذا حان يوم العرس زُفّت الفتاة الى خطيبها يتقدّمها جهازها. فاذا بلغ الموكب بيت الزوج ادّب هذا لجميع المدعوّين مأدبة بها تتمّ كل افراح العرس. واليابانيون لا يتزوّجون باكثر من امرأة والإضرار عندهم ليس بجائز

ولغة اليابانيين عذبة منسجمة تُختم الفاظها بحروف ليّنة خاوية ولليابان لغة قديمة



١) هذا ما خلا اهل جزيرة يازو الذين يختلفون عن بقية اليابانيين ولعلّهم اوّل سكّان اليابان الاصليين وهم يُدعون اينوس (Aïnos)

كثيرة المقاطع تُلصَق فيها الالفاظ ببعضها كاللغات الاريَّة وهي تدعى ياماتا يدرسها الادباء ويتفاخرون بمعرفتها . امَّا اللغة الشائعة فرجعها خصوصًا الى اللغــة الصينيَّة يتعلمها احداثهم في المدارس . وكتابتهـا كمثل الكتابة الصينيَّة من اليمين الى الشمال وهي كجداول تُقرأ من فوق الى تحت . وهم يصوّرون في كتابتهم المعاني تصويرًا ليس لهم حروف هجاء . كما في لغاتنا . وانَّما الحرف عندهم عبارة عن كلمة بل جملة . وهذه الحروف تبلغ ٥٠,٠٠٠ يتعلَّم منها الاحداث نحو ٣٠٠٠ حرف امَّا الرجل المتأدّب فيبلغ علمهُ منها ٨٠٠٠ الى ١٠,٠٠٠ حرف الَّا انَّ لليابانيين كتاب هجاء . يدعونهُ كاتا كانا يضيفونهُ الى الحروف الصينيَّة لضبط الفاظها وتسهيل قراءتها ولهم كذلك كتابة دارجة يتَّخذونها لمكاتباتهم ومعاملاتهم العاديَّة يدعونهـا هيرا كانا . ومنذ زمن قريب جعل اليابانيُّون يدرسون في مدارسهم حروف الهجاء الاوربيَّة وقد نقلوا الى لغتهم الفاظًا كثيرة استعاروا معانيها من الانكليزيَّة

٣ الدين في اليابان

لليابانيين دين وطنيّ قديم جروا عليه دهرًا يُدعى سِنتو اي طريقــة الارواح فكانوا يعبدون قوَّات الطبيعة ونفوس الموتى والارواح التي يزعمون انَّها منبثَّة في الهواء واعماق الارض . وهــذا الدين الوطنيّ لا يزال شائعًا حتى اليوم والمرجَّح انَّ اليابانيين اخذوهُ من سكَّان بلادهم الاصليين وهم الاينوس كما سبق . ورئيس هذا الدين هو ملكهم المسمَّى ميكادو واذا مات الملك ادخلوهُ في عداد الأرواح المعبودة وسُجد لهُ كإلهٍ . ولذلك تراهم يعظّمون الملك ويعتبرونهُ في حياتهِ كشبه الاله

وهذا الدين القديم غاية في السذاجة وترى هياكلهُ ومعابدهُ التي تبلغ ٢٠٠,٠٠٠ خلوةً من الاصنام وفيها يُدفن ملوكهم ومشاهيرهم . وليس في هذه الهياكل شيء من الزينة والحليّ الَّا زخرفة بنائها واذا دخلت الهيكل لا تجد فيهِ سوى مكنسة من شُقق الورق الصينيّ الملوَّن دلالةً الى نقاوة القلب ثمَّ مرآةٍ . فيتقدَّم العابد الى المرآة ويجثو امامها ويصفق بيديهِ داعيًا للإله ثم يسجد ويصلي . ومدينتهم المقدَّسة هي نِيكُو على مسافة ثماني ساعات بالسكَّة الحديديَّة من توكيو كرسيّ الملك يعدُّونها من آيات العالم لجمالها

وبقيت ديانة سنتو سائدةً دون منازع في اليابان الى القرن السادس بعد المسيح .

وفي اثناء ذلك كانت المعاملات قد كثرت بين اليابان والصين فبهت اليابانيون من حضارة الصينيين وآدابهم فتعقّبوا آثارهم واخذوا عنهم كتابتهم وعلومهم وصنائعهم. وعرفوا حينئذٍ ديانة كنفوشيوس كبير الصينيين وإمامهم ودرسوا تعاليمهُ الفلسفيَّة واكرموه كما اكرمهُ اهل الصين

وممّا اخذوهُ ايضاً من الصين البوذيَّة. واصل هذه الديانة من الهند انتقلت الى مملكة ابن السماء. فانتشرت في الصين في القرن الاوَّل للمسيح ثم بلغت الى بلاد كوريا وتعدَّت منها الى اليابان في اواسط القرن السادس. فشاعت شيوعاً عظيماً وصارت كالديانة الرسميَّة ولم يعتبر اليابانيون هذا الدين مخالفاً لدينهم لانهم مزجوا بين البوذيَّة ودين سنتو واتّخذوا اصنام البوذيين فعبدوها ولم يزل امر البوذيَّة يفحل الى ان صارت اكثر رتب الدولة في ايدي اصحابها وتغلبت على الدين القديم لكن الملك الجديد جعل لاصحابها حدًّا وقسم بين الدين الوطني وبين الدين البوذي

ومن اليابانيين من يعبد الشمس ويسجد للقمر ويكرم الحيوانات. وعبادتهم خصوصاً لصنمين عندهم يسمُّون الاوَّل منها أميدا ويزعمون انهُ اعدَّ لهم فردوساً في الارض بعيداً عنهم لا تبلغهُ النفس الَّا بعد ثلاث سنين. ويسمُّون الثاني كاتا وهو اله البوذيين يزعمون انهُ كان من سلالة الملوك وولد من عذراء. ولمَّا نشأ زهد في الدنيا وألِف طرائق النسك وتتلمذ لهُ عدَّة تلاميذ طاف بهم العالم ليرشد البشر الى سُبل الخلاص. ولليابانيين الوفٌ من الهياكل شيَّدوها لهذين الصنمين وزيَّنوها بانواع النقوش والصور الذهبية. ومن كان محبّاً لهذين الالهين انتحر او ألقى بنفسهِ من شفير عالٍ او رمى بنفسهِ في البحر. ولهياكل هذه الاصنام عدد لا يُحصى من السَّدنة يدعونهم بُنزًا يتولّون تضحية الذبائح وتدبير المناسك الدينيَّة لكنَّهم مشهورون بالقبائح وفساد الاخلاق لا يأنفون من المجاهرة بالفحشاء. (١. هذا وفي سنة ١٨٨٤ لم تعد الدولة اليابانيَّة تعترف رسميًا بالديانات الوثنيَّة وانَّما اقرَّت بحريَّة الاديان

١) جاء في قائمة رسمية لليابان انَّ سدنة البوذيين كانوا سنة ١٨٩٠ ١٥٢٣٥٢ وهياكلهم ١٠٨٣٢٤ امَّا الدين القديم المعروف بسنتو فانَّ عدد هياكله ١٩٠٧٥٤ يدبّرها من السدنة ١٠٦٠٧٦

على انَّ الله عزَّ وجل اراد في اواسط القرن السادس عشر ان يدعو هؤلاء عبدة الاوثان الى معرفة الدين القويم فقدم بلادهم سنة ١٥٤٩ القديس فرنسيس كسفاريوس من الرهبانيَّة اليسوعيَّة ودخل على ملوك اليابان وبشَّر بالدين المسيحيّ واثبت صحَّتهُ بالمعجزات الباهرة كشفاء المرضى وقيامة الموتى وطرد الارواح النجسة فكثر المشركون بديانتهم الباطلة وتنصَّروا افواجاً بينهم علماء وملوك. ولمَّا مات فرنسيس تبعهُ الرهبان اليسوعيون مقتفين بآثاره فلم يمرَّ عليهم خمسون سنة حتى بلغ المتنصّرون نحو مئتين الف الف. ثمَّ قدم اليابان عدد من الرهبان الفرنسيسيين والدومنيكان والاوغسطينيين ليفلحوا مع اليسوعيين كرم الرب فلم تزل الكنيسة اليابانيَّة في نموّ وازدهار الى ان قام ملك دخيل ليس من سلالة ملوك اليابان اسمهُ تيكوساما تقرَّب منهُ التجار الهولنديون والانكليزيون فنسبوا الى المرسلين غايات سياسيَّة كانوا منها براء. واقنعوهُ بان يمنع انتشار الدين الكاثوليكيّ في اليابان ففعل وقضى بالموت على المرسلين واستشهد عدد لا يحصى من المؤمنين بلغ عديدهم مليونًا بنيف كانوا كلهم يمشون الى منقع الدم والعذابات فرحين مسرورين وبينهم فتية احداث وفتيات وابناء ملوك. وكانت نتيجة هذا الاضطهاد انَّ النصرانيَّة انقطعت مدَّة مئتي سنة عن اليابان



ثمَّ عاد المرسلون سنة ١٨٦٥ ليدعوا اليابانيين الى الايمان ثانيةً. فما اعظم ما كان اندهاشهم اذ وجدوا نحو ٢٠٠٠٠ من بقايا النصارى الاقدمين كانوا تعلَّموا مبادئ النصرانيَّة أبًا عن جدّ وعنَد الآباء ابناءهم فحفظوا وديعة الايمان بثبات عجيب. ومنذ ذاك الحين جعل المرسلون من جمعيَّة الرسالات الخارجيَّة يزرعون في انحاء اليابان الزرع الجيد ويسقونهُ بعرقهم فاضحت اليوم حبَّة الخردل شجرة كبيرة. حتى انَّ البابا لاون الثالث عشر في سنة ١٨٩١ جعل لليابان كنيسةً منظَّمة لها رئيس اساقفة في توكيو وثلاثة اساقفة تحت امره في نغازاكي واوزاكا وهاكوداتي والكاثوليك اليوم في اليابان نحو تسعين الفًا. وهذا لعمري قليل بالنسبة الى عدد اهل اليابان الذين يبلغون ٤٨,٠٠٠,٠٠٠ من النفوس. لكنَّ الامل وطيد بأن يزيد عددهم يومًا فيومًا لاسيَّما اذا ما فتح المرسلون المدارس العليا في تلك البلاد وزاد عدد الكهنة الوطنيين. وزد على ذلك انَّ للروسيين رسالةً في اليابان بلغ عدد من نصَّرهُ مرسلوهم ٢٥,٠٠٠

## ٦ خلاصة تاريخ اليابان

انَّ اوائل تاريخ اليابان اخبار مختلَقة كاساطير الامم القديمة تكثر فيها الخرافات والأقاصيص العجيبة. والعلماء مجمعون اليوم على انَّ الاينوس كانوا يسكنون اليابان الى ان قام في القرن السابع قبل المسيح زِنْمو الميكادو الاوَّل (ومعنى الميكادو الباب العالي) فاستولى على نيبون ودحر الاينوس في جزيرة ياسو. وبه يبتدئ التاريخ الياباني سنة ٦٦٠ ق م. واستقرَّ الملك لولدهِ من بعدهِ حتَّى الميكادو الحالي وبقي اليابان منذ ذلك العهد مملكةً مستقلة لم يقوَ عليها فاتح. وهذا لعمري من الامور النادرة في التاريخ ان تبقى دولة حرَّةً نيِّفًا والفي سنة بعزّها وسلطتها لا يطمع فيها طامع ولا يكسر شوكتها فاتح

وممَّا يرويهِ التاريخ ان ملوك اليابان حاربوا بلاد كورية وظفروا بها قبل المسيح بنحو ثلاثين سنة واكرهوا اصحابها على ان يؤدُّوا لهم الجزية. فصارت كورية مذ ذلك الحين تحت سيطرتهم. وكذلك ورد عن الميكادو السادس عشر المالك من سنة ٢٧٠ الى ٣١٢ ق م انهُ جعل كرسي الملك في كيوتو (وهي مياكو) ودعا الى بلاطهِ الحكماء الاجانب ونشر الكتابة الصينيَّة في مملكتهِ. واتخذت الحضارة الصينيَّة وتمدُّن اهلها يجريان الى اليابان مجتازين اليها على طريق كورية. كما دخلها ايضًا الدين البوذيّ بواسطتها

وقد اشتهر ايضًا من ملوك اليابان في القرن الرابع للمسيح نِنْتوكو الذي نشَّط الزراعة ونشر في رعيتهِ الصنائع. وخلفهُ رينْشيو في القرن الخامس فامر بتدوين اعمال الدولة وتسطير اخبارها السابقة. وكان الملوك يتوالون الواحد بعد الآخر يشاطرهم في تدبير الملك وزراء عظام من أسر شريفة أتَّصل بعضهم الى نفوذ عظيم حتى كادوا لم يدَعوا للميكادو غير اسم الملك. منهم امير اسمهُ يوريتمو ظهر في القرن الثاني عشر ونال رتبة القائد الاعلى وساس الدولة مع الملك ثمَّ خلفهُ ابناؤهُ في رتبتهِ الى سنة ١٨٦٨

وفي القرن الثالث عشر حاول المغول ان يفتحوا اليابان وينشروا فوقها أعلامهم الظافرة لكنَّهم لم يفوزوا ببتغاهم. وفي ذلك القرن ايضًا سمع الرحَّالة مركو پاولو

باليابانين فكتب في سِفر رحلته ما اخبره اهل الصين من امرهم . وكان العرب قبل ذلك بنحو ٢٠٠ سنة اثبتوا اسم بلادهم في وصف البلدان .

واوّل من دخل اليابان من الاوربيين بعض البحّارة البورتغاليين رمتهم انواء البحر سنة ١٥٤٣ الى جزائرها ثم اسرع التجّار الى معاملة اهلها وتبعهم المرسلون بعد حين . لكن هذه المواصلات انقطعت كما سبق ولم يبقَ لاحد من الاوربيين حقّ في ان يطأوا ارض اليابان سوى للهولنديين على شروط اقتضوها منهم الى ١٨٥٤ . وفيها أُلغيت تلك المعاهدات القديمة فتُتحت سواحل اليابان لتجارة الولايات المتحدة اوّلاً ثمّ لانكلترة في سنة ١٨٥٦ ومن بعدهما لفرنسة وروسيّة سنة ١٨٥٨ . على انّ هذه العهود الجديدة كان ابرمها مع الاوربيين الوزير الاكبر المعروف بسانغون فلم يرضَ بها الاشراف واعتصبوا عليه وابطلوا رتبة الوزارة سنة ١٨٦٧ . ثمّ مات الملك كوماي في خلال ذلك فقام الملك الحالي « موتسو ايتو » وصارت لهُ السلطة المطلقة على كل البلاد كما كانت قبل انشاء منصب الوزارة

• اليابان الحالية

ومنذ استقرّ الامر للميكادو الحالي قد جرت في اليابان اصلاحات متوالية ادخلت تلك الدولة في طور جديد . فانّ الملك موتسو ايتو نقل كرسيّ الملك من كيوتو الى توكيو وهي يادو القديمة ودعا اليها سفراء الدول . ثم ألغى امتيازات الاعيان وقسم المملكة الى اقسام جديدة فجعلها ٣٨ مقاطعة وولّى حاكماً على كل مقاطعة . وقد انتمى بالاوربيين في كل ما رآهُ آئلاً لخير دولتهِ . فمن ذلك انهُ اتّخذ الحساب الغريغوري لتاريخ السنة والزم شعبهُ بالتطعيم وادخل الفنون المستحدثة كالتصوير الشمسيّ والتلغراف وانشأ السكك الحديديّة وابتنى البنايات العظيمة وجرى على طرائق الامم المتمدّنة في الدعاوي والجنايات والمصارف الدوليّة . وختم كل هذه الاصلاحات بقانون سياسي جديد اعلنهُ في ١١ شباط سنة ١٨٨٩ فبموجب هذا القانون اضحى الملك دستوريًّا بعد ان كان مطلقاً يسوسهُ مجلسان : مجلسٌ للاعيان ومجلس لنوّاب الشعب . فمجلس الاعيان يتألّف من ٣٢٨ عضواً بينهم ١٢ ذكراً بالغاً من الاسرة الملكية . ثم ١٢٠ عضواً من الوجوه والاشراف ادركوا الخامسة والعشرين من سنّيهم يُنتخبون لمدّة

سبع سنين. ثم ١٥٨ شخصاً لا تقلّ اعمارهم عن ثلاثين سنة يعين منهم الملك ١١٣ لمدَّة الحياة . وينتخب وجوه النواحي الـ ٤٥ الباقين لمدَّة سبع سنين

امَّا مجلس النوَّاب فيتركَّب من ٣٧٦ عضواً ادركوا الثلاثين من سنّهم يختارهم بالتصويت اهل المقاطعات الذكور البالغون الخامس والعشرين من سنّهم على شرط ان يدفعوا من الاموال الاميريَّة في السنة ١٥ ياناً او ٧٧ فرنكاً و ٢٥ سنتيماً. ولا يُنتخب نائب الَّا ان يكون هو ايضاً دفع هذا المبلغ سنةً قبل انتخابهِ. وهذه الانتخابات قد جرت لاوَّل مرَّة في تشرين الثاني من سنة ١٨٩٠

ومن التدابير الحدثة في سنتي ١٨٩٤ ثم ١٨٩٩ انَّ للاجانب في اليابان حقوقاً كالاهلين فيمكنهم ان يتجوَّلوا في كل المملكة دون جوازات للمرور ويتصرَّفوا بالمتاجرات والسُّكنى واقتناء الاملاك كاليابانيين انفسهم لكنَّ الدعاوي كلها تُحكم في مجالس يابانيَّة ليس للسفراء والقناصل حق المدافعة عن رعاياهم

## ٦° قوَّات اليابان البريَّة والبحريَّة

وبينما كان الملك موتسو ايتو يدخل هذه الاصلاحات المهمَّة في مملكته كان ينظّم جيوشهُ على مثال الجيوش الاوربيَّة فانشأ لذلك نظاماً جديداً سنة ١٨٧٢ مقتضاهُ انَّ الخدمة العسكريَّة واجبة على كل ياباني وطني من السابعة عشرة من سنّهِ الى الاربعين والخدمة العاملة تدوم ثلاث سنوات في الجيش البرّي او اربعاً في الجيش البحري. وتُقسم المملكة الى ستَّة مراكز عسكريَّة. امَّا الجيش العامل فيتركَّب من ثلاثة عشر فيلقاً بينها ٥٢ فرقة للمشاة و ٣١ فرقة للخيَّالة و ١٣ فرقة للطوبجيَّة هذا فضلاً عن فرق اخرى لحراسة الشواطئ والسكك الحديديَّة. وكان عدد الجنود في الحرب اليابانيَّة الصينيَّة سنة ١٨٩٤ نحو ٦٧٠٠٠ رجلاً وعدد الرديف ٩١٠٠٠ وزاد هذا العدد سنة ١٨٩٦ حتَّى بلغ عدد الجيش العامل ١٠٠,٠٠٠ والرديف ١٠٠,٠٠٠ والجيش المستحفظ ٧٠,٠٠٠

والجنديّ منذ سنة ١٨٩٨ متسلح ببنادق عيارها ٦ ملمترات وخُمس المِلّمتر وللطوبجية منذ سنة ١٨٩٩ مدافع سريعة الطلقات سُبك قسم منها في معامل كروب وقسم آخر في معامل اوزاكا اليابانيَّة . ومن صفات الجندي الياباني انهُ قصير القامة

ربعة شديد القناعة سريع الهجوم الَّا انَّ التعب المتواصل يضعف شدَّتهُ كما ان الظفر يبطره.



الميكادو موتسو إيتو ملك اليابان الحالي

الَّا انَّ اليابانيين في البحر اقوى منهم في البرّ وقد اشتهرت منذ اجيال عديدة عمائرهم البحريَّة. وقد ساعدهم احد الفرنسويين لسمهُ برتان (Bertin) على تجهيز اسطول هجومي. وبلغ عدد سفنهم سنة ١٨٨٧ ٣٤ سفينة حربيَّة. ثمَّ اصابت العمارة اليابانيَّة سنة ١٨٩٤ في حربها ضد الصين شهرة لاسيَّما في واقعة ايالو وفي مرفإ واي هاي واي. فزاد اليابانيُّون بعد ذلك في قوَّتهم البحريَّة. حتَّى بلغ اسطولهم في تموز من سنة ١٩٠٢ ٧٤ مركبًا حربيًا يحارب فيها ١٦٠٤٦ رجلًا. وكان بين هذه المراكب ٦ مدرَّعات

من الطرز الاوَّل ومدرَّعتان من الطرز الثاني. ثم ٥٩ نسَّافة تسعٌ منها من الطرز الاوَّل و ٢٤ من الطرز الثاني. ثم ١٥ معاكساً للنسَّافات. وكان اليابانيُّون في الوقت ذاتهِ يستحضرون سفناً اخرى عديدة مختلفة الاصناف منها مدرَّعتان وعدَّة بوارج ونسَّافات وغيرها

وكذلك قد ترقَّت في هذه المدة الاخيرة تجارة اليابان البحريَّة حتَّى انَّ الشركات اضحت اليوم في عدد ١٨٠ شركة اعظمها شركة «نيبون يوسن» في توكيو وشركة «اوزاكاهوسن كابوشيكي» يبلغ عدد سفنهما ١٤٠ سفينة ولكلتيهما خطوط عديدة بين اليابان واميركة واوربَّة. وكثير من هذه السفن تُصطنع في اليابان على مثال السفن الاوربيَّة. ثم ان السفن البخاريَّة اليابانيَّة تبلغ نيِّفاً و ٢٧٠٠ سفينة هذا فضلاً عن ٤٠٠ مركب شراعي. امَّا السكك الحديديَّة فقد كاد طول خطوطها يبلغ ٨٥٠٠ كيلومتر

فترى انَّ اليابانيين يسيرون بهمَّة ونشاط في معارج الحضارة ويحاولون ان يجاروا اوربَّة في اختراعاتهم. وغاية ما يريدون ان يستغنوا عمَّا سواهم من البلاد. وليتهم يفهمون انَّ ما يقوي الامم ويثبت دعائمها ليست هي القوَّة المادّيَّة. وانَّما يحتاجون الى اساس امتن واثبت ألا وهو الدين القويم ومعرفة الاله الحق الذي يعضد الشعوب بيمينهِ القادرة فيرفع منها ما يشاء ويحط ما يشاء

# الصوم

قصيدة لسيادة المثلَّث الرحمة المنسنيور يوسف الملم وهي تابعة لقصيدتهِ عن توبة داود التي ادرجناها في بدء هذا الصوم لانَّ التوبة والصوم من المتلازمات المتآخيات

الصومُ ما الصومُ قل ما حكمهُ فينا ... ان كنت تدري بهذا الامر تُفتينا
هل انزل الله صوماً في شريعتهِ ... وهاك موسى وما أوتيهِ في سينا
يا أيها السائل المدفوع عن ورعٍ ... هداك مولاك مع اهل الهدى دينا
شريعة الصوم ما بين الورى سبقت ... كلَّ الشرائع والتنزيلُ ينبينا
فانَّ آدم في الفردوس يُلقيها ... فما لقمٍ من الرحمان بارينا
لمَّا أباح لهُ اشجار جنتهِ ... يجنى جناها بطيب العيش مقرونا

لكنَّ واحدةً حماهُ مأكلَها وان تعدَّى غـدا للموت مرهونا
وذاك موسى الذي فيهِ تناقشنا فانَّهُ صـامَ عشرينًا وعشرينا
وهاك ناموسُـهُ فيـهِ محرَّمـة بعضُ المآكل للآتين تغطينـا
والربُّ يسوعُ من وفَّى شريعتهُ حقَّ الشرائع تصريحًا وتضمينا
قد قال صوموا وصلُّوا كي يعلِّمنا بالصوم جدوى لنا جدوى المصلينا
والقول بالصوم اجراهُ وأيـدهُ بصومـهِ مُلقيًا درسًا وتمرينا
وقال أنصـارهُ يأتيهم زمنٌ من بعد فرقتهِ فيـهِ يصومونا
هذي عهودٌ رأيتَ الصوم مسندها ثلاثة من شهود العدل تكفينـا
من عهد آدم من موسى وسيـدنا الربَّ يسوعَ صوتُ الصوم يـدعونا
بالصوم قد قال اقطابٌ فلاسفـةٌ وطالما بذلوا في البحث تمكينا
سَلْ عن صيامِ اباء الروح اجمعهم واتبع هداهم ودَعْ قول المضلينا
ماذا ترى في جموع لا عداد لهم قد لازموا الصوم هل كانوا مُرائينا
وهاك في الطبِّ ما يغنيك عن جدلٍ بأنَّ في الصوم للادواء تسكينـا
والطبع يرشدنا والعين باصرةٌ إنْ نُذلِلِ الجسمَ سادت روحهُ فينا
قل لي بحقـك ما تختار في بطرٍ هل غير صوم اذا ما رُمت تأمينـا
الصوم صومُك لا تجدي بهِ احدًا لكنَّما صلوات منك تجدينـا
وكلُّ من تابَ كان الصوم قائدهُ لان في الصوم للعاصين تلينـا
وهـاك من نينوى عنوان توبتهم والنفرُ عنوانهُ يكفيـك مضمونا
صومٌ تناول من عبدٍ الى ملكٍ ومن رضيعٍ الى طـاوي الثمانينا
كذا البهائم قد صامت مشاركةً في نيل صفحٍ عن الآثام اهلينـا
انَّ الكنيسة لم تُحدث وصيتَّهـا بالصوم لكنَّها قد عيَّنت حينا
وقد رأيتَ نصوصًا جلَّ مسندها وكلها من كلام الله يحيينا
فالصوم كفَّارة عن فعـل معصيةٍ وليس يرفضهُ غير المصرينا
صـاموا وتابوا بمعنًى واحدٍ عُرفا اذا تقصَّيت اقوال النبيينا
فاتبع وصية أُمٍ ليس مقصدهـا الَّا الخير وكُنْ خير المطيعينا

# الخزاعل والهيازِعة او خُزاعة الحاليَّة

لحضرة الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي ( تتمَّة )

## ١٠ لغة الهيازعة في الوقت الحاضر

كانت لغة خُزاعة فصيحةً في سابق الزمن كما يشهد بذلك مشاهير شعراء قبيلتهم ومواليهم « كأبي الشيص ودِعْبِل وابن ابي الشيص وداود ابن ابي رزين . ومن مواليهم طاهر وابنهُ عبد الله » (عن الاغاني ١٨ : ٤٤) . وامَّا اليوم فقد وقع فيها الخلل كما وقع في سائر لغات القبائل العربية . الَّا انَّهُ لا يزال عندهم الفاظ فصيحة تلقَّوها عن اجدادهم وتصاوير عربيَّة محضة . ولكي تطَّلع على حالة لغتهم في هذا الاوان أُورد لك هنا بعض ابياتٍ من شعرهم العصري نقلًا عن خليل الابرهيم

يَا مْلْ عَيْنْ كُلْ مَا أَكُولْ نَامَتْ    وَٱلْعَيْنْ عَيَّتْ مَا تْذُوقْ مَنَامْ

اي : يا مَلْ : العين (او يا ايها العين وما قبلك من الاعضاء اللازمة للبصر) كُلَّما اقول (كَ = ق في لغة جميع الاعراب) في نفسي واخاطبها : يا نفس ان العين نامت . فلا أرى لهذا الوهم حقيقة فان العين تعبت (عَيَّتْ) من السهر ولم تَذُقْ نوماً

وَكُلْ مَا أَكُولْ يَا نَفْسْ كُولِي أَهْجَسْ

يَا رَبِعِي زَادِي حَنْظَلٌ وَسْمَامْ

يعني : وكُلَّما اقول : يا نفس كُلي أشعر يا قومي بان طعم طعامي (زادي) كالحنظل او السِمام (جمع سمّ كالسموم . وهذه العلامة « التي في آخر لفظة « حنظل » هي تنوين) وتلفظان كضمَّتين ضيقتين اي كلفظك تقريباً (ḥanzaleun)

سَوُّوا عَلَى حَرْبْنَا مَكْعَدِيَّه    يَا بُونْ نَايِفْ وْبَلَّاصْ رْجَالْ دْهَامْ

يريد انَّهم عقدوا مجلساً (سَوُّوا = عملوا . ومكعديَّه = مقعديَّة من قَعَد أي مجلس . كما ان هذه الكلمة مشتقة من جَلَس) يريدون (يابون = يبغون بمعنى يطلبون . راجع المشرق ٣ : ٤١٦) القبض على نائف وبلَّاص وهُما بطلان داهيان من رجال الشيخ دهَّام

رَاحَتْنَا وَحْنَا عَدَّايِهِمْ يَا مَا غَزْيْنَا دِيرَهْ" وَيْ دِيرَهْ

وَدْلِيلْهُنْ سَاجِرْ بْلَيْلْ ٱلدُّجَى وْٱلظَّلَامْ

اي: لكونهما (بني نائف وبلّاص) سبب راحتنا. ونحنُ (وحنّا) لذلك سبب عذابهم: فيا ما اكثر الديار (دِيرة وَيْ ديرة = ديار وايّ ديار. او: ديار ثم ديار) التي غزوناهـا. (الفتحة المقلوبة وهي (ٗ) التي تراها مصوَّرة على «غَزْينا» و«وعيَنْ» و«لَيْل» وغيرها من الالفاظ الآتي ذكرها = ٤ او ê او ai الافرنجية. وعليهِ فانطق اذاً «غزينا وعين وليل» هكذا: gazéna و ʼain و lel) وكان الدليل الذي هدانا اليها في ظلمات الليل الخرّيت المعروف باسم «ساجر»

يڤُوْدُونْ مِنْ سَرْدْ ٱلسَّبَايَا عَلَيْهِنْ    وَٱلْخَيْلْ كُـثْـثَّلْ وَرْجَابْ هَمَامْ

اي: يقودون (ڤ = ق) من الخيل الكريمة المنتسبة (وهي السبايا بلغتهم) جماعاتٍ جماعات متسقة (وهي السرد عندهم) وقد اصبحنَ ضوامر (الكُثَّل = القُفَّل وهي عندهم جمع قافلة ومعناها الخيل الضوامر. وفي اللغة الفصيحة: الخيل القوافل: الضوامر) لان ركّابها الهمام (جمع هُمام) لم يستريحوا قط ولم يريحوها

وِيَا مَا وِرِدْنَا عُـكْـلَةْ "جَاهِلِيَّةْ"    نْطَيِّرْ مِنْ جَالْ ٱلْبِيرْ حَمَامْ

اي: يا ما اغلب الأحيان وردنا آباراً يجهل الغيرُ بوجودها فنرى الحمام جُثَّماً على جوانبها لعدم اختلاف الناس اليها فتطير عند قدومنا اليها. (العُكلة = العُقلة. وهي عندهم جماعة خَوَايا او آبار صغيرة متقاربة تمسك ماء السماء وا كثر ما يحفرونها على هذه الصورة عند ما تشتدّ حاجتهم الى الماء. وقد تجتمع مياه هذه الآبار في حوض واحد. ومن غريب الاتفاق انّ استعمال هذه اللفظة بهذا المعنى جارٍ عند اهل المغرب جميعهم. وامّا اهل شرقيّ الجزائر (في افريقية) فيريدون بالعُقلة بئراً يكون بجانبها خيام مضروبة مدة طويلة من الزمان وبجانبها مطامير (جمع مطمورة silo). ولا شكّ ان هذه اللفظة قديمة في الاستعمال عند الاعراب لشيوعها بين بدو العراق وبدو اهل المغرب والجزائر في افريقية ولذّلها فصيحة الّا انها لم ترد في كتب اللغة لان اللغويين لم يقيدوا جميع الشوارد والاوابد وحينئذٍ تكون مشتقة من عَقَلَ الدواءُ البطنَ: اذا مسكها. وذلك ان بعض الاراضي تمسك المياه عن الغَوْر لبعض خواصّ في رمالها او لوجود انواع من النبت والشجر فيها. كوجود الخَبْر مثلاً لنوع من شجر البادية والرمال. وقد سمّى العرب الاقدمون بِمَعْقُلَة (اي بلفظة مشتقة من هذه المادة ع ق ل) خبراء بالدهناء. قال ياقوت: مَعْقُلَة: ... خبراء بالدهناء سُمّيت بذلك لانها تمسك الماء. كما يعقل الدواء البطن. قال الازهريّ: وقد رأيتُها وفيها حوايا كثيرة (وفي الاصل المطبوع: خَبَارَى والاصحّ ما اوردناهُ لان الخبارى جمع خبراء وهي القاع تُنبتُ شجر الخَبْر وايضاً منقع الماء في اصول الخَبر. وامّا الحوايا فهي جمع حَوِيّة وهي على ما قال في التاج في مستدرك مادّة حوى: حفائر ملتوية يَملأها ماء السماء فيبقى فيها دهراً طويلاً لانّ طين اسفلها علك صلب يمسك الماء واحدتهُ حَوِيّة ويُسمّيها العرب الامعاء تشبيهاً بحوايا البطن يستنقع فيها الماء. وقال ابو عَمْرو: الحوايا المساطح وهو ان يعمدوا الى الصفا فيحوون لهُ تراباً وحجارة تحبس عليهم الماء. وقال ابن بري: الحوايا: آبار تُحفَر ببلاد كلب في ارض صلبة يُحبس فيها ماء السيول يشربونهُ طول سنتهم عن ابن خالويه. وقال ابن سيدة: الحوية صفاة يُحاط عليها

بالحجارة او بالتراب فيجتمع فيها الماء. وقال نَضر: حوايا: بناء بالصخر كهيئة البركة دون الثَّعلَبية بقرب أود. اه. ومن هنا ترى ان ذكر الحوايا أنسب في هذا الموضوع من ذكر الحَبَارَى. وكتاب ياقوت هذا المطبوع في لبسك كثير الاغلاط لا يستطيع ان يطالعهُ القارئ الّا بكل توقٍ وتحفظ) — وبها جبال ورمال متفرقة يُقال لها الشمايل. اه كلام ياقوت

امّا الجال بمعنى ناحية البئر وجانبها فهي فصيحة

وَيَامَا دَزَّيْنَا سْبُورْ وَعَرَّضُوا وَكَالُوا     يَا سَاجِرْ جِهَامْ اَلْكُفَاهْ جِهَامْ

اي: ويا ما اكثر ما ارسلنا (دَزّ يَدُزُّ: ارسل يُرْسِلُ في لغة اهل السواد كلهِ من بدوٍ وحضر) رُوّادًا (سْبُور جمع سَبر وهو الرائد والبَصَّاص) وتطوَّحوا (عرَّضوا) في مجاهل الفَلَوات فجاؤوا وقالوا: يا شيخَنَا ساجر ان الاعراب قد تَخبَّوا من رؤيتنا واصبحوا كمَن نُزِعت منهم قلوبهم وغدوا كالجهام اي كالسحاب الذي لا ماء فيهِ او كالذي اراقَ ماءهُ فلم يبقَ فيهِ شيء. وكذلك حالة من جاء وراءهم فهم ايضاً كالجهام (الكُفاه = الذين قفاهُ اي وراءهُ او بعدهُ فمعنى «ال» الذين وكُفاه = قفاهُ اي وراء الجهام الاول المرموز بهِ عن جماعة الاعراب الذين قد تَخبَّوا)

كَالْ خُثُوهَا يَا رَبْعَنَا     كَبِلْ جِرْفْ يَكَّعْ عَلَيْنَا هَدَامْ

اي: اجاب الشيخ ساجر وقال للرُوَّاد: ارجعوا واستبطنوا أمرهم نبيهاً (خَمّ فلانٌ الامر: استبطنهُ. وهي لفظة سواديَّة) يا ربعنا قَبلَ (كِبل) ان ينهارَ (يَكَّع = يقع) علينا هَدماً جرف بحر أقوامهم فيسحقونا تحتهُ

لَازِمْ عَنْ خَامَهْ يْذَرْعُونَهْ     وِيْكَصُّونْ مْنَهْ مِيزَرْ وْلِثَامْ

اي: ويجب على الروَّاد ان يعرفوا طول صفّ اقوامهم حتى يأتونا بحقيقتهِ كما لو ذرعوهُ ذرعاً بثوبٍ (خامة: قطعة من الخام) وحينئذٍ يهجم قومنا على مُقَدَّمتهم ومؤخرتهم (وكنى عنها الناظم بالثام والمئزر) فيتصرفون بهم تصرُّف الخيّاط بالثوب

نَاسْ تْكُولْ عَايْزَهْ     وْنَاسْ تْكُولْ تَمَامْ

اي: ومن بعد ان هَجَمَ اصحابُنا عليهم فرَّقوهم كل مُمَزَّق اخذ ناسٌ منَّا يقولون: هذه الخامة ناقصة عن المطلوب اي ان هذه الهجمة غير وافيةٍ بالمقصود فلترد في تنكيلهم. وناس منّا يقولون: هذه الهجمة كافية وافية لا حاجة الى الكَرَّة

ومما تقدَّم ذكرهُ نلاحظ الامور الآتية وهي: ١ً ان في لغة هؤلاء الاعراب كلماً فصيحة هي اليوم مجهولة عند كثيرين من الحضر كقولهم: عيَّ او عيٍّ والدُّجى والخيل القوافل وجال البئر والجهام الخ

٢ً ان عندهم اثرًا للإعراب وهم لا يتّخذونهُ الّا في نظمهم غير انهم حصروا

حالة الرفع والنصب والجرّ في حالة واحدة هي بحركة ٌ مع تنوينها متوسطة بين الحركات الثلاث فيقولون مثلاً عُكْلَة" جاهليَّة" فيلفظون تنوين الحرف الاخير كما يلفظ الانكليز (captain)· واظن ان سبب ذلك هو انهُ لمَّا اضاعوا وجه استعمال كل حالة من حالات الاعراب استعملوا حركةً تكون وسطاً بين الحركات الثلاث حتى اذا قيل لهم: ان هذه الكلمة هي هنا في حالة الرفع· قالوا: ونحن ايضاً نلفظها كذالك· وكذا اذا قيل لهم ان الكلمة هي هنا في حالة النَّصب والجرّ· وقد اصطلحنا على هذه الحركة بعلامة ( ) اي بنصف سكون مُتَّجهٍ قرناهُ نحو يمين الكاتب· وهو يساوي e في le الفرنسيَّة وتنوينها يكون وسطاً بين التنوينات الثلاثة وهو الذي اصطلحنا عليهِ بعلامة ( " ) ويلفظ مثل eun المختلسة او كما تلفظ ain في كلمة (captain) الانكليزيَّة· ولا اتوقَّف في القول بان هذه الحركة وتنوينها كانا معروفين منذ القديم عند بعض قبائل العرَب الاوَّلين· ولنا ادلَّة على ذلك بيد انهُ ليس هنا موطن ذكرها

٣ ان جميع الأَلفاظ المصغَّرة تبتدئ عندهم باسكان الاول كما رأيت ذلك في اسماء بعض قبائلهم وبطونهم وافخاذهم وكذلك ايضاً ما كان من الصفات والاسماء على فَعيل فهو عندهم اماَّ باسكان الفاء واماَّ بتحريكها بالحركة المتوسطة او المبهمة او المشتركة او المشتبهة او بما تريد ان تسمّيها· وهذا ايضاً قديم عند العرب· ولا غرو ان سبب وزن فصحاء العرب اذا ارادوا ان يحقِّروا شيئاً او يُصغِّروهُ او يكبّروهُ بميزان « فُعَيل » اصلهُ « فَعيل » اشارة الى وزن لفظة « حقير » او « صغير » او « كبير » وتلميحاً الى ما تفيد صيغ هذه الأَلفاظ· ولمَّا كانوا في بادئ الامر يلفظ البعض هذين الوزنين اي فَعيل وفُعَيل بصورة واحدة اي باسكان الاوَّل او بتحريكهِ بحركةٍ مشتبهة جاءت قبيلة اخرى وميَّزت بين ما هو على وزن « فَعيل » في الاصل ( اي بفتح الاوَّل ) وبين ما هو على « فُعَيل » في الاصطلاح ( اي بضم الاوَّل وفتح الثاني ) فابقت فَعيلاً للاول· وفُعَيلًا للثاني· ولمَّا كان هذا التفريق في اللفظ مماَّ يُساعد السامع والمتكلِّم على فهم معنى الأَلفاظ بدون تدبّر وتفكُّر طويل اتَّبع الاغلب هذا الاصطلاح· غير ان قبائل كثيرة من اعراب البادية بقيت ولا زالت باقيـة على الحالة الاولى من اللفظ القديم

٤ ان الأَلفاظ الموزونة بميزان « فاعل » اذا اتصلت بتاء الانات او بحرف آخر

مهما كان من ضمير وغيره اسكنوا عين « فاعل » وان لم يكن متصلاً بشيء. حرّكوا العين بهذه الحركة المبهمة. فلذا رايتهم يقولون « عائزة » جريًا على القاعدة الاولى وقالوا « ساجر » طردًا على القاعدة الثانية. واظن ان هذا اللفظ ايضًا كان قديمًا عند العرب الاوّلين. ومن اثره انا نرى الفاظًا جمّة قد وردت على وزن « فَعْل » او « فَعْلة » وهي بمعنى « فاعل » او « فاعلة » وسبب ذلك انّهم لمّا قالوا في « فاعـل » فأعل او فاعْل » حذفوا الالف لالتقاء الساكنين فانتقل الوزن الى « فَعْل » او « فَعْلة »

ولنا دليل آخر على هذا الرأي وهو: انهم جمعوا بعض الألفاظ الواردة على وزان فاعل على أفعال (كأنها جمع فَعْل) وجمعوا ما جاء على وزن فَعـل على فَعْلة او فُعَّال كأنها جمع فاعل. فمن الاوّل جمعهم طائر وطاهر وشاهد على اطيار وأطهار وأشهاد. ومن الثاني جمعهم عَبد على عَبَدَة وعُبَّاد وعُبَد

٥ً ان النظم عند هؤلاء الاعراب ليس نظمًا صحيحًا يعني أنهم لا يتخذون وزنًا من الاوزان (ولو كان من اختراعهم وخالي الوجود في علم العروض) كما رأيت مما تقدّم ايراده فانك لا ترى فيه تكرار بيت واحد على الوزن الذي تقدّمهُ. بل الشيء الوحيد الذي نراهُ قد بقي عندهم من اثر الشعر القديم وهو وحدة الرويّ لا غير

هذا ما اردنا تبيانهُ وقد أطلنا البحث في هذا الصدد لاننا لم نرَ من يتصدّى لمثل هذه المباحث ويُشبعها كلامًا فقد رأينا كثيرين يجتزئون منها بالقليل. فلا يشفون به الغليل. والله حسبنا ونعم الوكيل

# المستطرفات المستظرفات

## في حياة السيد جرمانوس فرحات

لحضرة الكاتب الفاضل القس جرجس منش الماروني الحلبي (تابع)

### ٦ً الرجل

تحت هذا العنوان نستوفي عن حالته الادبية ملخصةً عن آثاره (١ وآثار معاصريه

١) اخصها بالذكر الديوان ورسوم الكمال ومختصر الكمال المسيحي وشرح رسوم الكمال الخ

بيد انني التزم الايجاز في الوصف لئلا اخرج عن الحد الذي التزمتهُ في وصف اطوار حياتهِ خشية ملل القرَّاء الكرام

فالرجل حسن الجملة حسن الهيئة (١ متناسب الاعضاء ربعة القوام كثّ اللحية لطيف الانف بارز الجبهة مفروق الحاجبين اسود العينين ينظر بهما عن ذكاء وثقوب رأي عبوس الوجه من طبعهِ يكلّفهُ الطلاقة لآداب المعاشرة (٢ عصبيٌّ وهو مزاج غالب اعاظم الرجال ومشاهيرهم اسمر اللون بالنسبة الى قومهِ الذين عُرفوا بصباحة الوجه وطلاقتهِ (٣ قويُّ البنية في عهد صباه (٤ حتى استفنى في البحث واستمات في حياة الذكر فذهبت قوتهُ بل لم تذهب ولكنها انحصرت في الذهن فتحوَّل فيهِ معجز القوة الى الفكر فصار يكتب في الاسبوع عفواً ما لا يستطاع مع الرويَّة في الشهر حتى تكاد تآليفهُ تعجز المرء في مثل حياتهِ نسخاً · هذا ما علمتهُ من حلاه الشخصية

وهو قشف في مأكلهِ قشف في مشربهِ (٥ قنوع في ملبسهِ (٦ قنوع في كل احوالهِ المعاشيَّة (٧ ولباسهُ في صباه الثوب المشقوق الشقين (القُنْبَتَين) حتى الحصر المعروف بالقنباز عند العامة ومن فوقهِ الجبَّة المعروفة بالمحصورة عند الحلبيين وفي رأسهِ العمامة المعروفة بالقاووق وهو اللباس المخصوص بأترابهِ من الحلبيين لذلك العصر · ولباسهُ في عهد رهبانيتهِ الثوب المعروف عند الرهبان بالتفصيل وفوقهُ الإِتْبُ المعروف عندهم بالعبا او المشلح وعلى رأسهِ العراقية (العَرَقية) وفوقها الزيّ الرهباني المعروف عندهم بالاسكيم · ولباسهُ في عهد اسقفيتهِ الرداء الطويل المعرَّى من قدَّام بالعرى المتابعة المتناسقة من فوق الى اسفل ومن فوقهِ الدثار المعروف عند الفرنج بالبالطو الطويل

١) عدّهُ الخوري نيقولاوس الصائغ في ديوانهِ (ص ٧٣) : « اجى الورى خُلقاً وخَلقاً اذا عُدُّوا » . (قلتُ) فان لم يكن كلامهُ في مذهب المبالغة فالرجل كان جيَّ الخَلق في عهد صباه وشبابهِ ليس الاَّ

٢) الديوان (ص ٢٥)

٣) انظر رسمهُ المنقول عن الاصل المحفوظ في قلاية حلب المارونية (المشرق ٧ : ١٠٨)

٤) جامع الروايات (ص ١٥)

٥) شرح رسوم الكمال (رسم ٦)

٦) رسوم الكمال (رسم ٤)

٧) الديوان (ص ٢٦)

الذيل وعلى رأسهِ العراقية فاريُّ الاسقفي المعروف بالاسكيم فالقلنسوة المعروفة بالطابية عند الموارنة . ولبوسهُ في كل اطوار حياتهِ على جانب من التأنق تجمع بين النظافة والاحتشام. هذا ما عرفتهُ من ازيائهِ الاجمالية

ومعلوم ان طريقتهُ كانت الطريقة الرهبانية السامية آثرها على غيرها واتَّبعها معظم حياتهِ حتى فاق وسار ذكرهُ في الآفاق (١ فعُرف بالفقر الاختياري (٢ واشتهر بالطاعة القانونية التي كان يحثُّ اخوانهُ عليها (٣ وسارت ريح الصبا بريح عفافهِ الساطع الذي كان يجعلهُ اشبه بالملاك منهُ بالانسان (٤ ويحذّر الناس من كل ما يشينهُ (٥ وهذا آخر ما اتبعهُ من المشورات الانجيلية الجليلة التي لا يتبعها الّا من اختصَّهُ الله بدعوتهِ العلوية

امَّا صفاتهُ فعديدة منها اللطف والرحمة امَّا لطفهُ فشهير فانهُ كان لطيف العشرة حسن الصحبة (٦ برًّا بتبعتهِ رفيقًا بمسوديهِ (٧ احسن اليهم بمنافع عظيمة (٨ بعد ان علم بدقائق الامور على اختلاف مخارجها . وامَّا رحمتهُ فعجيبة فانها كانت تلطف قلبهُ وتعطفهُ الى الرقَّة والانعطاف بما يقتضيه التفضُّل على القريب والاحسان الى البائس المعدم (٩ والمغفرة لاعدائهِ ومنازيهِ (١٠ وهذه اخصّ صفاتهِ الجمالية المشهورة

وامَّا فضائلهُ فجليلة منها الفطنة والشهامة امَّا فطنتهُ فاعرف من ان تُعرَّف ومن انكرها انَّها هي التي ارشدتهُ الى سائر الفضائل الاخرى واثارت عقلهُ بالنظر الى غاية الاشياء ووسائطها واعراضها الملائمة للخلاص الابدي كمن ينكر الشمس طالعةً او

---

١) ديوان نعمة ابن الخوري توما الكاتب الحلبي

٢) الديوان (ص ٣٠٦)

٣) انظر الديوان (ص ٢٥٦) والمثلثات الدريَّة (ص ٥ و ٩٠) وشرح رسوم الكمال (رسم ١) ومختصر الكمال المسيحي (فصل ٤ قسم ٢)

٤) ديوان نعمة الله الكاتب الحلبي

٥) اقرا المثلثات (ص٧٦ و ٩١–٩٤) ومختصر الكمال (ف ٤) وفصل الخطاب (ص ٤٥–٥٧ من الطبعة الحديثة)

٦) الديوان (ص ١٩٤ و ٢٣٠ و ٢٢٤) ٧) المثلثات (ص ١٢)

٨) هذه المنافع بعضها مذكور في مجموع فرائضهِ وبعضها في قائمة موقوفاتهِ وبعضها في مختصر تاريخ لبنان

٩) شرح رسوم الكمال (رسم ١٢ , ١٨)

١٠) صرَّح صاحب الترجمة جدًا في مطان عديدة من ديوانهِ انظر مثلًا ص ٦٢–٦٤ , ٢١٩

النور منبلجاً. واماً شهامتهُ فاشهر من ان تُذكر لانهُ ان كانت تقوم بالعزَّة والترفع فقد عزَّز نفسهُ ايَّ عزةٍ وترفَّع بها عن الخسائس والدنايا جهد المستطيع (١ وان كانت تقوم بالحرص على مباشرة الامور العظيمة التي تستتبع الذكر الجميل فقد باشر من الامور الادبية الجليلة ما استتبع لهُ جميل الذكر وطيب الاحدوثة الى ما شاء الله الحيّ القيوم وهذا بعض ما عُرف بهِ من الفضائل المتقدمة الادبية

ومن فضائلهِ الصبر والعدل والعقاب والحلم والقوَّة والجودة. فصبرهُ (٢ صيَّره ان يصبر على حسادهِ ومناصبيهِ بكل أناةٍ (٣ وان يحتمل ما انتحاهُ من الضيقات والبلايا بلا غيظٍ (٤ وما تنازع فؤادهُ من الاسى والهموم المتتابعة (٥ وان يطابق ارادتهُ في كل امر مع ارادة الله تعالى (٦. وعدلهُ جعلهُ ان يرتب ارادتهُ في كل شيء (٧ وان يحب النظام في اي امر (٨ ويشنأ الجور في كل احد (٩ فقضى في الدعاوي بين المتخاصمين دون ان يخشى في الحق والقضاء لوماً. وعقابهُ للتأديب لا للانتقام بيد انهُ كان لا يدع ذنباً بلاعقاب في عهد رئاستهِ واسقفيتهِ سواء كان مجترمهُ كبيراً او صغيراً حتى انهُ لم يعفُ عن استاذهِ التولوي في اخف الذنوب (١٠. وحلمه كان يحمل نفسه على ان تكون مطمئنة لا يحركها الغضب بسهولة (١١ ولا تضطرب عند نزول المكاره بل يجعلها ان تخلد الى السكون وتبدي الاناة والصفح عند المقدرة في الرئاسة والسيادة وفي مسئلة التولوي خير دليل على حلمهِ (١٢. وقوتهُ كانت تضبط احتدادهُ وتشدد عزائمهُ ابان الفشل وصغر النفس (١٣ حتى احتمل الشدائد وظفر بالموانع التي صدتهُ عن الاعمال

---

١) الديوان (ص ٢٩ و ٢٠٥ و ٢٥٩ و ٢٧٣ و ٤٦٣ الخ)
٢) الديوان (ص ٢٢٤ و ٢٣١)
٣) الديوان (ص ٦٣ و ٨٧ و ١٧٨ و ١٩٩ و ٢٢٤ و ٢٢١ و ٢٧٣ و ٣١٦ الخ)
٤) الديوان (ص ٨٨ و ١٦٣ و ٢٢٩ و ٢٤٣ و ٣١٧)
٥) الديوان (ص ٢٥٣ و ٣٠٣)
٦) الديوان (ص ٦٤ و ١٦٣ و ٢٢٤ و ٢٣٠ و ٤٢٦ الخ)
٧) مجموع فرائضهِ (فريضة ٣٣)
٨) مجموع الفرائض والوصايا ورسوم الكمال وشرحها الخ ٩) الديوان (ص ٤٦٠)
١٠) المشرق (٦: ٧٧٦) ١١) الديوان (ص ٤٩٤) ١٢) المشرق المحل المذكور
١٣) جامع الروايات وتاريخ الرهبانية المفرد

الخيرية الخطيرة. وجودتهُ كانت تجمع صلاح السيرة الى صلاح الاعمال وكفى. وهذا آخر ما يُذكر لهُ من الفضائل السياسية

بقي خلال وفضائل أُخرى منها وقار لم تحركهُ ما انتابهُ من النُّوَب الجسام وما توازعهُ من الشدائد الشديدة (١. ودماثة جعلتهُ ان يبدي للخلق طلاقة الوجه (٢ وحسن المباشرة (٣ حتى البِشر للعدو اللدود (٤. ومنها دعة سكنت بها نفسهُ عند حركة الاميال النفسانية (٥. ووداعة ثوت في جنانهِ فاخمدت منهُ ثورة الغضب الذميم (٦. ومسالمة جعلتهُ ان يغضي على الاذى فيغفر لاعدائهِ مساوئهم وفظائعهم (٧. ومنها قناعة ابغضت اليه الشراهة مجلبة البطنة ومبعثة الشهوات من رقدتها (٨. وامساك حافظ بهِ كل المحافظة على الصيامات باسرها سواء كانت مفروضة من الكنيسة او من قانون الرهبانية دون ان يخلّ بشيء منها مدى حياتهِ (٩. وتقشف ارضاهُ بتزر العيش في كل الضروريات كالأكل والشرب والملبس مع يسارهِ ويسار اسرتهِ النبيلة (١٠. ومنها صلاح صيّرهُ ان يستاء من المدح ويؤثر الخمول على الاشتهار بالرغم عن شهرتهِ التي طبقت الآفاق (١١. وورع الزمهُ بالاعمال الحسنى التي بها كمال النفس وجمالها (١٢. واخبات بليغ ينسيه كل خير في الدنيا اذا اقبل على الصلاة ومناجاة الخالق وتمجيده وتسبيحه (١٣. وتقوى تأسى بها كثيرون من معاصريهِ فانعقدت على اجلالها خناصرهم (١٤ وتواضع عميق ناهض بهِ الزهو والكبر جهد المستطيع (١٥. ومنها سماح افاض يديهِ بالايادي على العفاة البائسين فحكت السيل المنهمر (١٦. وكم حملهُ على انفاق المال في جنب الامور الجليلة

---

١) الديوان (ص ٨٨ و ١٦٢ الخ)
٢) الديوان (ص ٢٥) ٣) الديوان (ص ٢٢٤) ٤) الديوان (ص ٢٥)
٥) الديوان (ص ٤٩٣) ٦) ديوان الحوري (ص ٧٣)
٧) الديوان (ص ٢٣٠) ٨) الديولن (ص ١٧٦ و ٤٠٥ و ٤٩٣)
٩) شرح رسوم الكمال (رسم ٦)
١٠) ديوان نعمة الحلبي ١١) الديوان (ص ٦٨) ١٢) ديوان نعمة الحلبي
١٣) ديوان نعمة الحلبي ١٤) ديوان نعمة وديوان الحوري
١٥) الديوان (ص ٧٤ و ١٠٧ و ٢٣٠ و ٤٩٥)
١٦) مجموع الفرائض (فريضة ٢٣ و ٢٥ و ٤٥)

القدر الكثيرة النفع (١. وشفقة جعلته ان يرأف بالمرضى فيزورهم ويؤاسيهم ويفتقدهم مع ما هو عليهِ من الكرامة الاسقفية (٢. ومؤاساة اضطرتهُ الى معاونة الاصدقاء المستصرخين بهِ في اعمالهم الادبية العظيمة (٣. ومنها غيرة على الدين وعلى خلاص النفوس ماثلت النار المتقدة (٤. ونشاط اتمّ بواسطتهِ كل اعمالهِ المفيدة ومشروعاتهِ الكبيرة وثبات على الخير والبر غالب بهِ كل الموانع والمثبطات التي تحول دونهما الى غير ذلك من الفضائل الجليلة والخلال الجميلة التى تجعلهُ في صف اكابر الرجال المشاهير

وهناك شوائب تافهة طفيفة متأتية عن مزاجهِ العصبي نضرب عن ذكرها الان تأدبًا واحترامًا ولا غرو ان فاتهُ الكمال برمّتهِ وقصر عن تحصيل اسبابهِ كلها فالبشرية قاصرة عن الكمال ومعظم عظمها دميم وذلك تقدير العزيز الحكيم فسبحانهُ من منزهٍ عن شوائب المعائب

## ٧ المؤلف

بعد استيفاء الكلام عن سيرتهِ في الصبوة والتلمذة والشباب والرهبانية والاسقفية وعن حالتهِ الادبيَّة كحلاهُ وازيائهِ واطوارهِ وصفاتهِ وفضائلهِ يجدر بي ان آتي على منزلتهِ العلمية بوجه الاختصار فرارًا من التطويل الممل

معلوم ان السيد جرمانس فرحات قد تلقى اللغات الايطالية واللاتينية والعربية والسريانية التي كان الطلاب منصبّين على تحصيلها لذلك العهد والتأدب بآدابها وفنونها فدرس العربية لانها لغة الوطن والسريانية لانها لغة امتهِ الطقسية واللاتينية لانها لغة العلماء والعلوم العالية. اماَّ اللغتان الاوليان فكان عارفًا بآدابهما قادرًا على التخاطب بهما والتعريب عنهما. اماَّ اللغتان الأخريان فقد مهر وفاق وبزَّ اهل زمانهِ طرًّا في وعيهِ اوابدهما وشواردهما وضلاعتهِ بآدابهما وفنونهما اللغويَّة والبيانية حتى عُدَّ من ايمتهما المشاهير على ما هو معروف عند العموم

وخلا هذه العلوم اللسانية قد برع وفاق في العلوم السامية والفنون الجميلة كالمنطق

---

١) قائمة موقوفاتهِ ومجموع فرائضهِ وجامع الروايات
٢) مجموع فرائضهِ (فريضة ٣٢) ٣) قائمة مؤلفاتهِ الآتي ذكرها
٤) ديوان الخوري (ص ٧٣)

والخطابة والجدَل والفلسفة والتاريخ الخاص والعام والشرع الديني والمدني والطقسيات الشرقية والغربية وعلم الكتاب العزيز القديم والحديث واللاهوت الادبي والنظري. وكان لهُ ايضاً مشاركات في علوم أُخرى كالطب والكيمياء والفلكيات والطبيعيات والالهيات كما يظهر بكل صراحة من تآليفهِ العديدة المبذولة

ولا ريب في ان هذا النابغة قد خدم المعارف والاداب الخدمة الجليلة التي لا ينقطع برُّها ولا ينقضي فخرها حيث اوقف نفسهُ الكبيرة على إكساب الخلق الفوائد واستنزف عرق الجبين في التأليف والتصنيف والتعريب وقضى انفاسهُ العزيزة بين الأقلام والمحابر والطروس والصحائف ونشَّط علماء زمانهِ الى التحبير والتحرير. وصحَّح عبارة تآليف بعضهم الحسنة المبدإ الجليلة المعنى. وعزَّز بيوت التعليم حتى تقوى على بثّ العلم وانتشارهِ في عصرهِ الانور الذي راجت فيهِ بضاعة الادب في مدينة حلب. وجمع من نفائس الكتب العزيزة المنال النادرة المثال اقدمها عهدًا واجلها فائدة واجملها خطًّا واغلاها قيمةً الى آخر ما هنالك مما تُحمد عائدتهُ وتجل فائدتهُ ويبقى فخرهُ ويخلَّد ذكرهُ على وجه الدهر

وحسبك من الدليل على ذلك ان تركتهُ العلمية جليلة تناهز المئة من بين مؤلف ومعرَّب ومهذَّب وملخَّص قصير ومطوَّل جمعت علوم الاوائل والاواخر ارتبها في الذكر بحسب مواردها كما يلي:

(اولًا) قد عرَّب الكتاب المقدس من السريانية الى العربية الفصيحة وصحَّح عبارة شروحهِ في ثمانية عشر مجلدًا ضخمًا تقع فيما يقرب من ثلاثة عشر الف صفحة متوسطة. (ثانيًا) مال الى الروحيات فألَّف وهذَّب الكتب الكثيرة في صناعة الوعظ والمواعظ والتأملات العقليَّة واللفظيَّة في كل مطلب منها. (ثالثًا) عُني بالعلوم العالية فقوَّم أَوَد عبارة الكتب العديدة التي ألَّفها معاصروهُ في الطقس والمنطق والجدَل والفلسفة واللاهوت الادبي والاعتيادي. (رابعًا) اقبل على التاريخ فألَّف التآليف الوفيرة في حوادث الكنيسة ومجامعها وقديسيها والمبتدعة الذين انشقُّوا منها. (خامسًا) صاغ سلسلة جميلة من الكتب المتلاحقة المتناسقة التي جمعت فأوعت كل علوم العرب كالصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي والشعر واللغة. (سادسًا) أكبَّ على النظر في الطقسيات الواسعة الاطراف الوفيرة المتاعب فجمع الطقس الماروني واصلح متنهُ واختصر مسهَّبهُ

وزاد عليهِ طقوساً اخرى وعرَّب مقالاتهِ غير المنظومة واضاف اليهِ الشروح الطامية بالفوائد ووفَّق بينهُ وبين الطقس الغربي (١ وقابلهُ على الطقوس القديمة الجلية بما لا مزيد عليهِ من التحقيق والتدقيق

والذي يؤخذ من هذه الآثار الادبية العظيمة ان لهذا النابغة قوةً في ما يعضل من الابحاث العلمية فنظرةٌ منهُ تفكّ عقدها ولهُ سلطة على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها وكل موضوع يدخل للبحث فيهِ يأتي على اطرافهِ ويحيط بجميع اكنافهِ ويكشف سرَّ الغموض عنهُ فيظهر المستور منهُ. واذا تكلَّم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين. ولهُ ذهن في الشعريات من اشدّ الاذهان قوّةَ تخيل واقدرها حسنَ ابداع وتصوُّر ولا يكثر ذلك على مَن هو مثلهُ في طهارة النفس وتوقد الفؤاد (٢. والنتيجة ان ما اتاهُ الله من الحكمة كقوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو أقصى ما أوتيه الرجال المشاهير من الطبقة الاولى

واما قلمهُ فسيَّال يجري في الطرس بلا تعقيد ولا ابهام ولا ايهام واما عبارتهُ فمنسجمة تجمع بين المتانة والسهولة والفصاحة والبلاغة واما انشاؤهُ فهو اقرب الى الانشاء القديم منهُ الى الانشاء العصري. والناس في الحكم على عبارتهِ طائفتان طائفة تنظر الى سذاجة عبارتهِ وسهولتها في الكتب الطقسية وما يتخللها من الاغلاط فتحكم في انحطاطها عن مقام مثلهِ في اللغة العربية دون ان تعي ما فيها من التفنُّن في ضروب الفصاحة والبلاغة في الكتب العلمية كالصرفية والنحويَّة والبيانية فتحكم لهُ بالرسوخ في اللغة ورفعة المنزلة والاصح ما ذهب اليهِ هؤلاء فهم اخلص قصداً واصفى طية واعرف بمقام المؤلف واسمى مقاماً في الحكم على عبارتهِ. اما أوَّلاً فلانَّ جلَّ ما كان يتوخَّاهُ من سذاجة عبارة الكتب الدينية والطقسيَّة انما هو ايصال المعاني الى افهام الخاص والعامّ بأسهل تعابير الكلام. واما ثانياً فلان خلوَّ الكتب الدينية والطقسية من تزويق العبارة وبهرجة الألفاظ امرٌ ملزم لا مناص منهُ لانهُ رحمهُ الله وضعها او جمعها او عرَّبها

١) في هذا التوفيق كان اميل الى الطقس الشرقي منهُ الى الغربي على ما يظهر من الفريضة الـ٢٥ والـ٢٩ والـ٤٧ والـ٤٨ ، من مجموع فرائضهِ ووصاياهُ

٢) طالع ما علقهُ الشيخ سعيد الشرتوني من التعاليق على الصفحة ١ , ٤ , ٢٢ , ٢٦ , ٢٧ , ٤٠ , ٥٢ , ١٣٠ , ٢٦٠ , ٢٦٤ , ٣١٠ , ٣١٣ , ٣١٧ الخ من الديوان

او اختصرها لموارنة ذلك الزمان الذين كانوا حديثي عهدٍ في كسب اللغة العربية وتحصيلها عَقيب تركهم اللغة السريانية. واما ثالثاً فلانَّ عبارة الكتب الدينية والطقسيَّة تقتضي ان تكون ساذجة الانشاء لان قرَّاءها يختلفون الطبقات وليست الحال معها مثل حال التآليف البيانية وما ماثلها مما هو موضوع لطبقة خاصّة من الناس بل يُقتصر فيها على الجلاء وابراز المعنى بصورة تصل الى القلب والفهم بايسر السُبل

واما شعرهُ فالخاصة من ادباء هذا العصر في الحكم عليهِ فريقان فريق ينظر الى ما في شعرهِ من المبالاة للضرورات من نحو تسكين المتحرّك ومدّ المقصور وتخفيف المشدّد وتثقيل المخفف ويصرف النظر عمّا في معظم قصائدهِ من جزالة اللفظ وبراعة السبك ورقّة النظم فيغلو في خفض قدرهِ والغضّ منهُ ولا يريد ان يقبل لهُ عذراً بل يصمّ اذنهُ عن قولهم الشعراء امراء الكلام يقصّرون الممدود ويمدون المقصور ويقدمون ويؤخرون ويومئون ويشيرون ويختلسون ويعيرون ويستعيرون (١. وفريق ينظر الى ما في قصائدهِ من بساطة الكلام وحسن دخولهِ على الافهام مع ما فيها من بدائع التخيلات ولطائف الاستعارات حتى تتمثل لعينهِ حقيقة الشعر في بعض قصائدهِ وتأخذهُ هزّة الطرب عند انشادها فيحكم لهُ بعلو الكعب وارتفاع الطبقة في النظم. والقول ما قال هؤلاء فهم اصوب رأياً وادق نظراً واعرف بمذاهب الشعر

واما ما في بعض شعرهِ رحمهُ الله من الانحطاط فلهُ في ذلك أُسوة بكل شاعر من فحول الشعراء اذ ما من شاعر الّا لهُ الغثّ والسمين والجيد والرديء. كيف لا ومثل كلام الانسان مثل مزاجهِ سلامةً واعتلالاً او مثل ثمار الشجرة وهي لا تتساوى حجماً واكتالاً. وهذا ابو تمام حبيب الطائي الذي ذلّل القوافي واتى باوابد الشعر قد وقع الاجماع على انهُ يعلو علوًّا حسناً وينحط انحطاطاً قبيحاً (٢. انتهى عن مقدمة الشيخ سعيد الشرتوني على الديوان

واما منزلتهُ عند الخاصة من ادباء المتقدمين والمتأخرين فعظيمة وقد بلغ من اعجابهم بعلومهِ وافتتانهم بآدابهِ ان تواصفوهُ بالاوصاف الجليلة وتناعتوهُ بالنعوت السامية: كالاوحد الامجد والاديب الاريب والبارع الفارع والمنطيق الالمعي والندب اللوذعي (٣ والاثير الخطير والحازم المهذّب والجهبذ الاوحد (٤ وقطب دهرهِ وواحد

١) المزهر ٢) الموازنة (ص ٥) ٣) كذا نعتهُ الكاتب الحلبي ٤) كذا الخوري

عصره (١ وامام الهداة وافصح الرواة وابلغ الكتبة (٢ والدرّة التي تتوّجت بها هامة الامة المسيحيــة وتلألأ سناؤها في الآفاق العربية (٣ والحبر البحر العلامة المدقق والامام الفاضل الفهامة المحقق (٤ والمنقطع النظير بين الملة المسيحية في علم العربية (٥ الى غير ذلك من النعوت والاوصاف التي انفرد بها عن النظراء والاشباه

وشابهوهُ وماثلوهُ بارسطو في الحجى والحكمة وباياس في الذكاء والفهم وبسحبان في الفصاحة وبقُدامــة في الشعر وبعماد الكاتب في الانشاء وبالتفتزاني والارجاني في الصرف والتصريف وبسبويه والزمخشري في النحو واللغة وبيوحنا فم الذهب في الوعظ والخطابة وبتوما واوغسطين في اللاهوت النظري وبدبانا ومالان في اللاهوت الادبي (٦ الى غيرهم من نوابغ الزمان وفحول العلماء ومصاقيع الخطباء وايمة اهل العلم ومشاهير اصحاب الادب وليس هذا بكثير في جنب نابغةٍ حاز من العلم الشأو البعيــد ومن الشهرة الذكر المستفيض

## لبنان : بحث في أنجاده واغواره

لحضرة الاب هنري لامنس اليسوعي

ليس بوسعنا ان نصف كل قمم لبنان المختلفة وتفرّعاته المتعدّدة وانّما نذكر منهــا اخصّها ليكون القرّاء على بصيرة من امرها

يبتدئ لبنان جنوبًا عند الوادي العميق الذي فيه يسيل الليطاني وعليه تشرف قلعة الشقيف في علو ٦٧٠ مترًا من سطح البحر· ثم لا يزال في تصاعد حتى يبلغ ١٠٣٠ مترًا عند جبل جرمق ثم يتّصل بجبل ريحان الذي به دُعيت احدى مديريّات لبنان· واعلى قممه هناك ١٦٤٣ مترًا· ثم يزيد علوًا عنــد قرنين محدَّبين يدعيان توأمات نيحا

---

١) كذا الشيخ سعيد الشرتوني وغيره
٢) كذا الخوري نيقولاوس الصائغ ٣) كذا الشيخ سعيد الشرتوني
٤) كذا الخوري نعمة الله باخوس والمعلم بطرس البستاني ٥) كذا المعلم بطرس البستاني
٦) كذا الخوري نيقولاوس ونعمة الحلبي

( ١٨٥٠ متراً ) يراهما البحّارة عن بعد وكانوا الى القرن الثامن عشر يستدلّون بهما على موقع صيداء (١

ثم يرتصّ الجبل وينضمّ الى بعضه متواصلاً فيسير قطبهُ المركزيّ على خطّ متساوٍ كأنّهُ جدار اجرد لا نبت عليه فذاك جبل باروك وفي آخره وهدة ظهر البيدر (١٥٤٢م) تقطع لبنان الى نصفين وهي نقطة مهمّة للمواصلات بين انحاء الشام وفيها تمر طريق دمشق والسكّة الحديديّة التي جعلت لبيروت مقاماً راجحاً في سوريّة

على انهُ اذا كان هذا المضيق يقسم لبنان الى قسمين متساويين على التقريب فانّ بين القسمين اختلافاً كبيراً في الهيئة فان القسم الشمالي يأخذ في الانبساط وتتّسع انجادهُ حتى تبلغ عدّة اميال. منها نجد جبل الكنيسة ( ٢٠٣٢ م ) ونجد صنّين ( ٢٦٠٨ م ) الذي على شكل مثلّث عظيم فيهِ الشرفات والاغوار والاودية يلوح لمن يرقبهُ من سهل البقاع كأنّهُ بحر عجّاج. امّا من جهة بيروت فينتصب هذا الجبل مع قرنيهِ الشاهقين فيخلب الابصار بمحاسنهِ ووفرة مناظرهِ

وصنّين في علوهِ ثالث جبال لبنان بعد جبل المنيطرة وجبال الارز. ويبعد عن هذه الاخيرة ٢٠ كيلومتراً بينهما جبل المنيطرة الممتاز بشمّته المستطيلة (٢٩١١م) وفي منتهاها مجاز ظهر القضيب يمرّ بهِ السفر من وادي قاديشا الى بعلبك

ثم تبتدئ اعلى قمم لبنان ومجموع جبال الارز الذي يلوح للناظر من طرابلس او من البقاع كأنّهُ سورٌ منيع قائم كالعمود. وهو في الحقيقة نجد واسع مساحتهُ ١٠٠ كيلومتر مربّع وفيه سلسلتان متوازيتان مختلفتان وجهتها من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي طولهما نحو ١٥ كيلومتراً فيها شعوف ورؤوس متعددة لم يُضبَط حتى اليوم قياس علوها كرأس ظهر القضيب وجبل المكمل والقرنة السوداء. ويتبارون فترى الجغرافيين يحددون هذه الشرفات حدساً فلا يتفقون بالقياسات كما ذكرنا سابقاً في بحثنا عن خرائط لبنان ( المشرق ٧ : ١٠٦٠ ). وبيّنّا هناك سبب هذا الاختلاف

كان القائد منِل والضبّاط الانكليز اقتاسوا علوّ هذه المشارف بطريقة الرسوم المثلّثة. وتبعهم الضبّاط الفرنسويون سنة ١٨٦٠ في خارطة البعثة الفرنسويّة دون

١) راجع Mémoires du chevalier d'Arvieux II, 467

ان يفيدونا عن طريقة اقيستهم . ثم اورد الجغرافي ر. كيبرت في خارطتهِ قياسات مخالفة للأقيسة الشائعة قبلهُ اخذها عن خارطة الخواجا ع. طمسه وافادنا عن سبب استناده اليهِ في رحلة البارون فون اونهيم (٢: ٤٠٦ و ٤٠٧) قال: « انهُ فضَّل هذه الأقيسة لانَّ صاحبها نالها بواسطة ميزان البارومتر الزئبقي وهي توافق اضبط الأقيسة دون ان نتحقق ما بينهما من العلاقة ». وهو قول بين المدح والانتقاد يجعلنا في ريب عن صحّة هذه الأقيسة واستقلالها. والحق يقال انَّ في خارطة المسيو كيبرت اوضاعاً غريبة فترى مثلاً حمّانا فوق عين صوفر. وعليهِ فانَّنا نفضل مقاييس المهندسين الانكليز والفرنسويين اذ كانوا مجهَّزين بالادوات المضبوطة لاتخاذ هذه الأقيسة ويُجيدون استعمالها

فدونك بعض امثلة لهذه القياسات لتعرف ما بين الجغرافيين من التباين: ١ً ترامات نيحا. الحساب الشائع انَّ علوّها ١٨٥٠ متراً امَّا دينر فانهُ يحسب علوّها ١٧٨٠ م = ٢ً المضيق بين جبل الكنيسة وصنّين. تتراوح الأقيسة بين ١٧٥٧ م وهو عندنا الاصح و١٥٠٠ م = ٣ً صنين يجعل برتون علوهُ ٢٧١٢م وكيبرت ٢٧٥٠ م. والباقون ٢٦٠٨ م وهو الارجح = ٤ً جبل الارز اعلى شرفاته القرنة السوداء ٣٣٦٠ م (عن ر. كيبرت) ثم تباررون ٣٢١٥ (عنهُ) وهي اقيسة بالغة لم تجدها في غير خارطة كيبرت. وقد سبق ذكر سنده في روايته امَّا اصحاب الخرائط الاخرى فانَّهم جعلوا ٣٠٦٩ متراً لقياس اعلى مشارف الارز وهي ايضاً ارفع قمم لبنان. الَّا ان برتون قد زاد شيئاً على قياس اسلافهِ وهو مع ذلك لم يبلغ قياس كيبرت. وليس لدينا داعٍ يحملنا على نبذ قياسات الاوَّلين

وبعد هذه الملاحظة في اقيسة مشارف لبنان فلنواصلنَّ وصف الجبل. فانَّ جبل الارز شمالاً يهبط نحو ٨٠٠ م فتتّصل بهِ سلسلة جبل عكّار (٢١٣٩ م) وطولها ٤٠ كيلومتراً تنتهي شِعَبُها الاخيرة عند وادي النهر الكبير الذي يحدّ لبنان في شمالهِ كما يحدُّهُ الليطاني في شرقهِ وجنوبهِ والعاصي في شمالهِ الغربي والبحر في غربيّهِ

ولوادي النهر الكبير شان خطير في التاريخ والاقتصاد. فانَّ الطبيعة نفسها قد اختطّت هذه الطريق فانَّها الوحيدة من الاسكندرونة الى حيفا حيث يمكن قطع الجبل بسهولة. لانَّ النهر وبقيَّة العوامل الطبيعيَّة قد بسطت في هذا المكان وادياً متسعاً قليل الانحناء لا يتجاوز اعلاهُ ٥١٠ امتار. وفي طرفيهِ سهلان احدهما شرقي وهو وادي العاصي ينفذ من شمال سوريَّة الى دمشق او سهل البقاع والآخر غربي ينفذ الى

البحر . ولذلك قد اسرعت الامم فابتنت المدن العامرة على طرفي هذه الطريق الطبيعية فشيِّدت شرقاً حمص ثم مدينة قدَس القديمة التي خلفتها لاذقيَّة لبنان . ومن جهة البحر بُنيت سِيبِرَّة التي تعدَّد ذكرها في مراسلات تل العمارنة ثم عَرقة وارواد في الجزيرة المعروفة باسمها واخيرًا طرابلس . وقد نالت كل هذه المدن من الحضارة سهماً فائزًا لانَّ طريق التجارة كانت تمرُّ بها منذ العصور الخالية . وان كانت طرابلس لم تزل حتى يومنا هذا مدينةً معتبرة وتزيد كل يوم ترقّياً فان الفضل في ذلك لموقعها في طرف هذه الطريق التجاريَّة واذا ما اوصلتها يوماً السكَّة الحديديَّة بداخل البلاد وهو امرٌ قريب المنال كما رأيت اضحت مُجارِيةً لبيروت تبارنها في تجارتها ونفوذها

*

هذا ومما يستحقُّ اعتبارًا في درس هيئة لبنان واحواله الجغرافيَّة صخوره التي يتركَّب منها . فانَّ هذه الصخور كما سبق القول اغلبها من المركبات الكلسيَّة . والمعلوم انَّ الحجارة الكلسيَّة كثيرة التفتُّت تعمل فيها العوامل الجويَّة فتحلّها ولذلك تراها منخورة متقطعة ذات تخاريب وثقوب عديدة كانَّها الغربال . وبعض هذه الصخور متراكمة بعضها فوق البعض فيها الشقوق والتخاريم والشرفات يظنُّها الناظر من بعيد أنَّها بقايا ابنية قديمة . واذا رقيتَ اعالي لبنان من علو ١٠٠٠ متر الى ١٥٠٠ م وجدت من هذه الصخور المهشَّمة ما يزيدك اندهالًا خصوصاً قرب افقا وريفون وعجلتون ومزرعة كفرديان وتنّورين . وهي قليلة تحت علو ١٠٠٠ م واذا فرعت الجبل فوق علو ٢٠٠٠ متر لا تجد منها شيئاً لانَّ البرد الذي لا يزال في اكثر السنة قياسهُ تحت الصفر لا يحلّل الصخور بل ينفذ في قلبها ويشقّها شقًّا فترى قِطَعها تعمُّ كل قمم الجبل . حتى أنَّها في بعض الامكنة تتراكم كأنَّ السائر في وسطها يجري في مقطعٍ من الحجارة

وكذلك للصاعقة في هذه القُنن فعلٌ لتوارد الانواء في اعالي الجبل . والصاعقة فضلًا عن ضرباتها وسحقها للصخور تحرّك الريح والهواء بتموّجاتها فتدوي لها الاودية وتتأثر منها جروف الجبال فتنخسف او تتساقط . واذا اضفت الى عمل الصواعق فعل الزلازل وفعل المياه في سيلانها فهمتَ كيف يندكُّ الجبل اندكاكاً ويتقوَّض فتنحدر جنادلهُ الى الاعماق جارفةً في مسيرها التربة والنبات

فكل هذه العوامل للخراب تقرّب الى الفهم رأي العلامة ديفر في تركيب

لبنان (١ حيث يقول انَّ علو لبنان كان في الاعصار السالفة السابقة لعهد التاريخ اعلى منهُ اليوم بنحو ٣٠٠ متر فلم تزل دواعي الدمار تسحوهُ وتجرف تربتهُ الى السهول حتى صار على ما هو اليوم. وهذا امر محتمل فاقترض انَّ في كل جيل تجرف عوامل الطبيعة خمسة امتار من رأس الجبال فلا يلبث ان يصحّ حساب ديثر . وان كان هذا القول صوابًا ادركنا صحة قول الأقدمين بان جبلنا كان سابقًا متوَّجًا بثلوج مخلَّدة فدُعي لهذا السبب بلبنان اي الجبل الابيض

ومن مفاعيل هذه الجروف المائيَّة المغاور والكهوف التي يمتاز بها لبنان. فانَّ الطبقات الكلسيَّة الافقيَّة الشكل او المنحرفة انحرافًا خفيفًا كثيرة في الجبل يعترض بينها شقوق او اقسام مختلفة التركيب والصلابة بينها قطع سريعة التفتُّت وشيكة الانحلال. فاذا جاءت العوامل الخارجيَّة جرفت الأقسام الضعيفة الباطنيَّة وتركت الطبقة الكلسية العُليا فاضحت الصخور على شبه السَّقف. وهكذا كانت قديمًا تلك المآوي الاوَّليَّة التي كان يسكن تحت ظلها السكَّان الاقدمون. وبعض هذه المغاور قد احتفرتها عوامل الجوّ والمياه معًا اذ تسربت الى باطن الصخور فتآكلت قسمًا منها وتركت وسطها خلوًا على صور اغوار واسعة وكان للبعض منها مداخل طبيعيَّة ضيقة فجرت المياه مارَّة بها فوسَّعتها وجعلت لها دهاليز. كما ترى مغارة اطلياس العليا المعروفة بمغارة البلاني وكمغارتي نهر الكلب اللتين نضبت اليوم مياهها ولا يزال حتى الآن يظهر فيهما اثر الماء.

وكثرة هذه المغاور القديمة مكَّن قبائل عديدة من سكنى لبنان في الاعصار الخالية كما اثبت ذلك الاب زُموفن في المشرق (١: ٩٧ و ٣٥٣) ومن هذه الكهوف الطبيعيَّة ما اصلحهُ الناس وزادوا في توسيعه امَّا ليتخذوهُ مدافن لموتاهم وامَّا ليأووا اليه مع قطعانهم او ليسكنوهُ زهدًا كما ترى في مغاور الفرزل وعدلون وهرمل (المشرق ١: ١٠٠ و ٤: ٣٦٥). وربَّما اضافوا اليه البنايات المعظمة فصارت هذه المغاور كقسم من اديار الرهبان كما ترى في قزحيا وقنوبين. ومنها ما زيد في تحصينه فاضحى كالقلاع المنيعة مثل قلعة نيحا الشهيرة في تاريخ القرون المتوسطة باسم شقيف تيرون. وهي عبارة

---

١) راجع كتابهُ Libanon, p. 384-385

عن صخر قائم عموديًا على علوّ ٣٠٠ امتار. وفي وسطه كانت عدَّة كهوف وسّعها البنّاؤون فسكنها الجند. ولا يبلغ الصاعد هذه المغاور الّا بمرقىً صعب الارتقاء. وفي هذه القلعة تحصّن الامير فخر الدين المعنيّ في القرن السابع عشر كما ورد في تاريخ لبنان. وقد وجدنا في هذا المكان كتابة على اسم الملك الظاهر بيبرس وكان انتزعهُ من ايدي الفرنج

وكذلك تُنسب الى جرف المياه الجسور الطبيعيَّة التي في لبنان. فانَّ للمياه المتجمعة سورة تمكنها من كل الحواجز التي تلقاها في سبيلها ما لم تجد طريقًا اخرى لتحيد عنها. فتراها تصدم الصخور وتنخرها في اقسامها الاقل صلابةً فتنتح لها مجرى يتَّسع يومًا بعد يوم حتى تجري في مسيل واسع وتبقى الصخور الصلبة فوقها على شبه جسر طبيعيّ. وطبقات هذه الجسور التحتانية كثيرًا ما تسقط لضعف دعائمها التي تجرفها المياه لتسلُّط العوامل الجويَّة عليها. وهكذا ذهب الزمان بقسم من هذه المعابر الطبيعيَّة التي كانت تجمع بين معاطف اودية لبنان وتجري فيها السيول الجارفة. وانَّما بقي منها بعضها الآخر

فمن هذه الجسور معبر طبيعي ليس بمعبر عند العاقورة وهو عبارة عن صخور ثقبتها سيول المياه على شبه القبَّة. واعظم منهُ شأنًا الجسر القريب من نهر اللبن المعروف بجسر الحجر تراهُ فوق المسيل كالقوس العظيمة وهو يحلّق على علوّ ٦٠ مترًا وطولهُ ٣٠ م في عرض خمسة امتار. ومن نظر اليه عدَّهُ طرفةً من طُرف الدهر قد شادتهُ الطبيعة وجعلتهُ كآيةٍ من آياتها التي تسبي القلب بعظمها وحسن صنعها. وفيه من التناسب والإحكام ما حمل بعض الكتبة على ان يزعموا بان ايدي البشر ساعدت على تركيبه. وهو قول بعيد

ثم يوجد جسر طبيعي ثالث على منعطف لبنان الشرقيّ يمتدّ فوق وادي الليطاني الزهري وموقعهُ على بعد نصف الساعة غربًا من قرية يحمور في وسط الطريق بين جزين وحصبيا. وهو حتى اليوم معبر للسابلة بين القريتين. يدعونهُ جسر القوَّة. ونهر الليطاني يسيل تحتهُ على عمق نحو ١٠٠ قدم وطولهُ ٢٢ قدمًا ومعظم عرضه ٦٨ قدمًا ثم يضيق الى تسعة اقدام. وتعلو هذا الجسر طبقة من التربة تنبت فيها الاعشاب والدَّغل

ولنختم هذا الباب بذكر النقطة التي عندها تنتهي المساكن. وهو خط يصعب

تحديده لقلّة الاقيسة القانونية الدالّة على علو الضياع والقرى. ثم انّ هذا الخط يختلف مع اختلاف احوال الجو فانّ لبعض الامكنة موقعًا حسنًا يصونها من هبوب الرياح فيمكنها ان تُشاد في معالي الجبل ولولا حُسن موقعها لما امكن الاهلين سكناها. وفي اورنّة قائمة السكّان الذين يبيتون في القرى فوق ١٢٠٠ متر لا تتجاوز ٣٠٠٠٠ نسمة. امّا لبنان فان القرى التي فوق هذا العلو فمتعددة كبكستا مثلًا (علوها ١٤٣٠ متر) وعين صوفر (١٣٠٠ م) والعاقورة (١٤٠٠ م). واقل منها الضياع التي فوق ١٥٠٠ متر وهي عيناتا (نحو ١٧٥٠ م) واليمّونة (نحو ١٥٤٠ م) وعزرته قرية صغيرة شمالي غربي زحلة (١٥٤٠ م) (١. وفي الجبّة قرى عديدة علوها قريب من ١٥٠٠ م كاهدن وبشراي والحدث. امّا فوق علو ١٨٠٠ متر فلا تجد الّا اكواخًا ومآوي للرُّعاة. وربّما اختلف الكتبة في تعيين العلو لاختلاف مواقع اقيستهم في القرية نفسها. ومن المعلوم انّ بعض القرى تشغل في الجبل نحو ١٠٠ م بين اسفل دورها واعلاها

امّا النقطة التي ينبت فيها النبات فهي كما لا يخفى اعلى من نقطة المساكن البشريّة فانّ بعض مزارع لبنان موقعها على علو ١٨٠٠م بل ٢٠٠٠ الّا انّ هذه المزدرعات الاخيرة لا تكون الّا في الاودية والاغوار التي هي بمعزل عن الرياح. وترى في هذا الارتفاع شجر البلوط العادي الكبير الاثمار وشجر البطم البري والشوح والخوخ البري ولبعض شجر العرعر ضخم عظيم وطول باسق واشهر اشجار لبنان الارز الذي موقعهُ على علو ١٩٢٥ م

---

# عاديّات سوريّة المكتشفة حديثًا

نظر للاب لويس جلابرت اليسوعي مدرّس العاديّات اليونانية في مكتبنا الشرقي (تابع)

## ٣ً امّ العواميد (او امّ العَمَد)

ذكرنا في العام الماضي الآثار الفينيقية المكتشفة في امّ العواميد جنوبي صور. وقد

---

١) يزعم لورته في كتابهِ سوريّة الحالية (ص ٦٣٤) انّ علوّ عيناتا ١٨٠٠ م وعلو اليمّونة ١٦٥٠ م لكنّ هذه اقوال تخمينية لا يُستند اليها. ويجعل كيرت علوّ عيناتا ١٦٨٠ م واليمّونة ١٤٤٠م وهذا دون القياسات المقبولة. (راجع مقالة للاستاذ الاميركي وست PEF, l. c., West)

وُجد فيها آخرًا تمثالان مجسَّمان عليهما كتابات بلغة الفينيقيين (١ وهما من الحجر الكلسي ذي الاصداف الناعمة قد اتلفهما قدم عهدهما فقُطع رأسهما وكُسرت اذرعتهما وسوقهما الى نصف الافخاذ. وبين كليهما تشابه عظيم بل هما صورتان لشخص واحد يمثلان رجلًا لا ثوب عليه الّا مئزر مصري حول احقائهِ المشدودة بمنطقة معقودة على بطنهِ يتدلّى طرفاها المستديران والمخطَّطان متصلّبَين. وحول عنقهِ قلادة متعدّدة الاطواق تزين اعلى صدره. وذراعهُ الشماليَّة ملتصقة على طولها بجسمهِ ويدهُ مكفوفة. امَّا ذراعهُ اليمنى المكسورة فيُظنّ انها كانت منحنية الى الامام على هيئة رجل يتقدم شيئًا ولا يبعد انَّ يدهُ كانت تحمل تقدمةً

وهذان الشخصان بلا ريب قد نُحتا على الطرز المصريّ. وقد اثبت المسيو كلرمون غانو انهما لا يمثلان إلهين بل رجلين واقفين بازاء معبودهما يقرّبان له القرابين. وصناعة التمثالين مع هيئة لبسهما تدلّان على آثار مخالفة للتماثيل التي وصفناها سابقًا (راجع المشرق ٦:١٨٠)

ومن الامور الغريبة التي لم يلحظها الاثريون قبلًا انَّ في ظهر هذين الشخصين قطعة ناتئة مكعّبة متوازية السطوح معقودة في حجر الشخص لتدخل في حفرة من الحائط الذي يُسند اليه التمثال فتزيد مكانتهُ. وعلى سطح هذا المكعَّب كتابة فينيقيَّة. فاندهل العلماء عن سبب تخطيط هذه الكتابة في مكان لا تنظرهُ عين كما تحجَّبوا من كتابات هيكل اشمون غير المنظورة التي وصفناها (المشرق ٧:١٨٢).

والرأي عند المسيو كلرمون غانو انَّ صاحب هذه التماثيل كان يكتب صورة تقدمته في القاعدة التي يقوم عليها التمثال ليراها الجميع ويعرفوا واضعها ولكن خوفًا من ان تُفقد هذه الكتابة او يمحوها الزمان او يُتلفها عدوّ كان يرسم الكتابة نفسها سرًّا في مكان غير منظور دلالةً على صاحبها وحجَّةً على من يدَّعيها

هذا ومع انَّ الكتابتين قد اصابهما من التَّلف ما اصاب التمثالين تمكَّن المسيو كلرمون غانو من قراءتهما وشرح فحواهما. ونصُّ الكتابتين واحد يؤخذ منهما انَّ رجلًا

١) راجع مقالتين للعلّامة كلرمون غانو في هذا الشأن نشرهما في مجلّة مجمع العلوم (CRA, 1903, p 73) وفي مجموعه الاثري (RAO, V p. 373-378)

اسمهُ « بَعْلشِلّم بن بَعلَيَتَن نصب هذين التمثالين احدهما لاكرام الاله ايل والآخر لاكرام الاله أسر او اوزيريس ». وهذا لعمري امر ذو بال ليس لهُ مثال سابق ان يجمع عابدٌ بين الهين عظيمين متباينين وهما ايل الفينيقي واوزيريس المصري وذلك على عهد البطالسة

## ٣ جُبَيل

انَّ جبيل من اغنى المدن الساحليَّة بالعاديَّات وقد وُجد فيها في هذه الازمنة آثار جليلة أُعلن اكتشاف بعضها في العام المنصرم فقط وان سبق وجودها في السنين الماضية

فمن ذلك انَّ المسيو لويتفد (Lоytwed) وقف على كتابة مصريَّة فينيقية وصفها المسيو كلرمون غانو في اعمال المكتب العلمي واعلن صورتها الشمسية (CRA, p. 378-383 et 91) . وهذه الكتابة كانت على نُصب قديم من الرخام الارمد اللون. والنصب على شكل لوح فيه شعار الفرعون بِشِشنك او شيشق المذكور في التوراة (٣ ملوك ١٤: ٢٥ ) وهو الذي فتح فلسطين وخرق حرمة هيكل اورشليم ونهبهُ على عهد يربعام. ثم جاء احد الفينيقيين بعد ذلك العهد فزاد على النصب السابق كتابةً بالفينيقية لا تقلُّ عن ثلاثة اسطر لكنهُ حطّم جانبا السطرين الاولين والجانب الايمن من السطر الثالث فبقي منها ما تعريبهُ

السطر الاوَّل . . . ماقامهُ أبِبَعل . . .

« الثاني . . . من جبيل في مصر لبعل . . .

« الثالث . . . احد اهل جبيل

فمسيو كلرمون غانو قد شرح هذه الكتابة وهو يرتأي انَّها كتابة ضريحية حفرها احد اهل جبيل اسمهُ أبِبَعل كان ساكنًا في مصر لبعض شؤونهِ او لمنصب رسمي كان يتقلّدهُ وذلك ذكرًا لرجلٍ آخر من جبيل وطنهِ لم يبقَ من اسمهِ الَّا اوَّلهُ وهو بعل . . . والمرجَّح انَّ هذا الميت كان ايضًا في مصر كابِبَعل . امَّا الكتابة فنُقلت من مصر الى امّ العواميد حيث وُجدت . ولعلَّها ارسلت من مصر الى الشام مع جثَّة الميت

*

ومن الآثار المتعلّقة بمعبودات اهل الشام ما وُجد في هذه السنين الاخيرة من تماثيل

جوبيتر البعلبكيّ ومن الكتابات المنوطة به (١). فمن ذلك تمثال جديد من شبه اتباعهُ المسيو لويتشد ووصفهُ المسيو كلرمون غانو (CRA, 1903, p. 89 et 383) فقال انَّ هذا الأثر قد وُجد في كفر جزين قريبًا من برجا وهو يمثل رجلًا منتصبًا طويل الشعر وشعرهُ مهندس على طريقة المصريين ولهُ لحية خفيفة وفي هيئتهِ تخنّث وذراعهُ اليمنى مرتفعة. امَّا اليسرى فهي منحنية نحو صدرهِ وعليهِ قميص لاحق بجسمهِ فوقهُ شبه الصدرة مخطوطة على شكل المشبّك. ثم ترى من وراء الاله نسرًا يمسكهُ بمخالبهِ. وهذه اوَّل مرَّة وُجد النسر طائر جوبيتر السرّي مع جوبيتر البعلبكي المرموز بهِ عن الشمس. وفي الجمع بينهما مشكل جديد سعى بحلّهِ المسيو كلرمون غانو. وقد اغتنم هذا الأثريّ الفرصة لفك سرّ عاديَّة أُخرى اتى بها رينان من صربا وجعلها في متحف اللوفر. فارتأى انَّها ايضًا تمثل جوبيتر البعلبكي الشهير المعبود على عهد القياصرة الانطونيين والساويريين في هيكلي بعلبك ودير القلعة (راجع المجلة CRA. 1903. p. 384)

*

وكذلك قد وصف الاب س. رنزفال في المجلة الكتابيَّة (RB., 1903. p.) بعض الآثار التي اكتشفها حديثًا في جبيل وفسَّر معانيها. وهي ترتقي الى عهد الرومان ثلاثة منها تستحقّ الذكر. فالأثر الاوَّل هو قطعة من قاعدة لتمثال جوبيتر الاكبر (Ζεὺς ὕψιστος) عليها كتابة يونانية تنوّه بغايتها. وفي هذه الكتابة دليل جديد على تعبّد الجبيليين لهذا الاله كما بيّنهُ رينان. ثمَّ انَّ فوق هذه الكتابة صورةً تمثل الاله الى وسطهِ يُرى فيها مُلتحيًا كثّ الشعر على رأسهِ عصابة وشعرهُ ينحدر اطباقًا الى اذنيه فيغطيهما. والاله لابس رداء باردان وفوق الرداء شملة يعطفها فوق كتفهِ الشمال. وعلى يسارهِ صولجان ممدود عموديًا ملصق بجسمهِ. ومن عن يمينهِ صورة الصاعقة. فترى من ثم على اي هيئة كان يعبد اهل جُبَيل هذا الاله وهم يعتبرونهُ بمثابة «ملوخ كرونوس» الَّا انهم اخرجوهُ على هيئة يونانيَّة رومانيَّة

(١) راجع في هذا الصدد مقالات مستحسنة للاب س. رنزفال اليسوعي في مجلَّة الكتابات والفنون. منها مقالتهُ في اخربة دير القلعة (CRA 1900, 232-260) ونبذة لهُ في جوبيتر البعلبكي (CRA, 1901, p. 437-483). وراجع ايضًا في هذا المعنى في كتاب المسيو دوسو (Notes de Mythologie Syrienne)

امّا الاثران الآخران فهما عمودان احدهما يوناني عليه كتابة والآخر غفل من الكتابة وانما صُوّر على مقدَّمته قرص الشمس وكلاهما وُجد في اخربة قصوبا في التلّ الذي ينتصب شرقي جنوبي جُبيل على مسافة كيلومتر منها. وممّا يستنتج من هذين الاثرين ان الاله الذي كان يُعبَد على هذه الربوة ولا تزال من هيكله بقايا معتبرة حتى اليوم انّما كان اله الشمس. والاب رنزڤال يعتبره كخلف للاله الفينيقي القديم اعني تموز او ادونيس

وقبل ختام فصل آثار جُبيل الرومانيّة لا يمكننا ان نضرب الصفح عن ذكر التمثال الذي وصفناهُ في المشرق ( ٦ : ٩٢٣ ) اعني شخص نپتون المكتشف حديثاً. فانّنا بعد تدوين ما كتبناهُ في شأنه سابقاً امكنتنا الفرصة من فحصه ثانيةً واخذ رسمه برخصةٍ من حضرة المفضال الغيور رئيس الرهبانيّة البلديّة الجزيل الاحترام الاب نعمة الله الكفري فلم نجد بعد هذا الفحص المدقّق ما يضطرّنا الى تغيير رأينا فانّ هذا التمثال هو حقيقةً تمثال نپتون وعهدهُ يرتقي الى زمن الرومان واجمل ما فيه رأسهُ الذي يُشعر بهيبةٍ ووقار. امّا بقيّة الجسم فدون ذلك من حيث الصنعة. وممّا يزيدهُ شأناً انهُ اوّل تمثال غير مشوّه استُخرج من حفريّات جُبيل (١)

## ٦ً دير القلعة



وجد الاب س رنزڤال في دير القلعة كتابةً لاتينيّة ويونانية ممّا فوصفها وشرحها في المجلّة الاثريّة (RA, 1903, 29-49) وصفاً مستفيضاً. ولهذه الكتابة شأن عظيم لدرس الاديان السوريّة اجمالًا وللديانة الفينيقية في دير القلعة خصوصاً

وهذه الكتابة كانت مغلقةً كثيرة المشاكل لاختصار الفاظها فشرحها الاب شرحاً نال به ثناء الاثريين لاسيَّما المسيو غانو (RA, 1903, P. 225-230) الذي اخذهُ العجب من ذكاء الشارح ودقّة شرحه لنص عويص. وممّا خُصّت به هذه الكتابة ان صاحبها يجمع بين « جوپتير بعل مرقد والإلهة جونو الملكة » معبودَيْ هيكل دير القلعة العظيمين وبين « الإلهة سِيا والملكة سُهَيميا ام الملك هليوغابال التي مُثِّلت في صورة الإلهة جونو » فبيَّن الاب رنزڤال رموز هذه الكتابة التي هي اشبه بلغز فإنّ في اللاتينية لم يذكر من اسم هذه الملكة الّا حرفها الاوّل C (œlestis) S (ohæmia). اي

١) قرأنا في نشرة مار لويس للموارنة مقالة كتبها حضرة د. ريا في شخص جبيل بعد مقالتنا بثلاثة اشهر نتعجّبنا من دقّة وصفهِ واتّفاق الخواطر (!!)

سهيميا السماوية وكذلك في اليونانية كان اسمها مبهمًا ( Νεωτέρα Ἥρα ) وزاد حضرة الاب ملاحظات عديدة في تعريف الالهة سيَّما المذكورة وانتشار عبادتها في سوريَّة. ولبيان ذلك راجع النصوص الكتابية والآثار القديمة والأعلام اليونانية والسريانية التي يدخل اسم سيا او شيا في تركيبها كعبد سيموس (Ἀβεδσίμος) وااماسيميا (Ἀμασσημία) وسومايوس (Συμαῖος) وكذلك اسماء القرى اللبنانية ككفرشيما جنوبيَّ بيروت وبيت شاما قرب نيحا وشامات في بلاد جُبيل فقابل بين كل ذلك واستخلص من هذه المقابلة امرين: (الأوَّل) ان في القرن الثاني والثالث للمسيح كانت في لبنان الهة تسمَّى «شيما» (لاشيمي) معبودة فيه. (والثاني) انَّ عبادتها كانت منتشرة انتشارًا عظيمًا وذلك من سوريَّة الشمالية الى مدينة منبج

ثم واصل حضرة الاب الجائلهُ وراجع ما جاء في الفصلين السابع عشر (٣٠) والثامن عشر من سفر الملوك الرابع حيث ورد ذكر إلاهة تدعى اشيما كانت تُعبد في السامرة وكان عبَّادها من اهل حماة نقلهم الملك سرغون من بلدهم ليستعمروا السامرة بعد ان جلى اهلها الى بابل سنة ٧٨٢ ق.م فقابل بين اسم اشيما وسيا وبين اوَّلًا انَّ اشيما الوارد اسمها في الكتاب الكريم هي إلاهة انثى لا إله ذكر. وثانيًا انَّ عبادة هذه الالهة اشيا او سيا ينتهي الى القرن الثامن قبل المسيح على الأقل وانَّ عبادتها اصابت بعض الشهرة في سوريَّة الوسطى وفي بلاد السامرة

ثم اتبع حضرتهُ الجائلهُ فاستنتج منها نتيجة أُخرى غاية في الاهمية بناها على دلائل ثابتة لا ريب فيها وانَّ معبود اهل منبج المعروف بسيميون (σημήιον) الذي كان بين الاله زِفس او هَدَد وبين هيرا او اترغاتيس هو الالهة سيا نفسها. ولمَّا كانت سيميون هذه اشارة الى الملكة سميراميس استنتج اخيرًا ان سيا هي سميراميس وانَّ سميراميس هي شيا او اشيا المذكورة آنفًا. وهذه لعمر الحق نتائج جليلة تكشف القناع عن امور كثيرة مستغلقة حتى الآن في تاريخ معبودات السوريين

(التتمَّة لعدد آخر)

# التوحيد والوحي

نظرٌ للاب لويس شيخو اليسوعي

لا تزال مجلَّة المقتطف حينًا بعد اخر تنشر في صفحاتها الآراء المنبئة بعدم اعتقاد

اصحابها بالوحي الالهيّ والاسفار المنزلة. فتارة يدسّ كتّابها هذه المزاعم الواهنة في جملة مقالات لا يُشعر ظاهر دسمها بباطن سمّها كاقوال لهُ في سبنسر يطرئ مذهبهُ الدرويني في النشوء والارتقاء ويخطئنا اقوال التوراة كأنّ سبنسر إله الحكمة بلغ من العلم ما لم يبلغهُ انبياء الله. وتارةً يفرد لآرائهِ الباطلة مقالات برمّتها. لا نريد اليوم شاهدًا على قولنا غير مقالته المثبتة في عدد كانون الثاني الاخير (ص ٢٠-٢٤) عنوانها «اصل الاعتقاد بوحدانية الله» فان صاحب هذه المقالة يحاول ان يبين انّ عقيدة التوحيد وانتشارها بين الامم انّما هي ثمرة ارتقاء الطبيعة وتقدّم الشعوب في معارج الحضارة. فيزعم ان الانسان القديم في وقت همجيتهِ « ادرك اوّلًا عالم الكون واعتبر قواهُ البديعة النظام فقاس على نفسهِ حال الشمس والريح والجلد والبرق وسائر المظاهر الطبيعية فتمثّلها ذوات عاقلة فائقة في العظمة وجلالة الشان وان لها معهُ علاقة السائد بالمسود » ثم « انّ تشخيص المظاهر الطبيعية ازداد رسوخًا في اذهان البشر القدماء باعتقاد الارواح فاعتقدوا بسكنى الارواح في الريح والشمس والبرق الخ وعبدوها » ثم « ضاف اخيرًا عنصر التمدُّن اليوناني قبل المسيح فمهّد فلاسفة اليونان الطريق الى ظهور ديانة اوضح برهانًا واعلى سلطانًا قرّبت العقول الى حقيقة التوحيد وكان للشؤون السياسية في أمّة الرومان حظّ في اسباب الارتقاء الى هذه العقيدة. وما قيل عن الشعوب اجمالًا لا يُستثنى منهُ اليهود فانّ توراتهم تشهد على اعتقادهم بتعدّد الالهة ألا ترى انّ في اوّل التوراة ذكر الاله على صيغة الجمع (الوهيم) ويُذكر في التوراة (الترافيم) اي الالهة الحامية للعيال. لكن اليهود لمزيد ذكائهم وعصبيّتهم القوميّة ومبادئهم الادبية سبقوا الى الاعتقاد بالتوحيد سائر الامم

هذه خلاصة المقالة التي وردت في المقتطف يمكن اختصارها بهذه القضايا الثلاث

١ً ان الشعوب الاولى لم تعتقد بوحدانيّة الله بل ابتدأت كلّها بالشرك

٢ً انّ عقيدة التوحيد ليست الّا نتيجة ترقي العقل البشريّ على توالي الاعصار

٣ً ليس للشعب الاسرائيلي مزيّة على غيرهِ في اعتقادهِ بالتوحيد الّا انهُ سبق غيرهُ اليها

فاذا بيّنّا بطلان هذه القضايا بطل قول المقتطف وظهرت سفسطتهُ للعيان

١ً (تفنيد القضية الاولى) زعم كاتب المقتطف انّ الشرك هو الديانة الاولى التي دان بها الشعوب الاقدمون في اوّل امرهم وقت همجيتهم فطلبنا لقولهِ هذا برهانًا

مبنيًّا على العقل او النقل فلم نجد. وانّما اكّد الامر كمألوف عادة السوفسطائيين كأنّهُ لا يحتاج الى دليل. فيمكننا نحن ايضًا ان نقابلهُ بالمثل فنردّ كلامهُ بالنكران استنادًا الى المبدإ الفلسفيّ انّ ما يؤكد بلا حجّة يُنكر ايضًا جزافًا بلا حجّة. لكنّنا نحن الكاثوليك ليس من دأبنا ان نرمي الكلام على عواهنهِ واذا اعتقدنا حقيقة امكنّا ان نبني اعتقادنا على حجج يقبلها العقل ولا يبطلها النقل كيف لا وقد اوصانا بطرس الرسول في رسالتهِ (١٥:٣) ان نكون « مستعدين دائمًا للاحتجاج لكل من يسألنا حجج الرجاء الذي فينا بوداعة ومهابة » وعليهِ فنقول ان دعوى المقتطف بان الشرك هو الديانة الاوّلية باطلٌ من وجوه شتّى هذه اخصُّها

اولًا لانَّ مبنى هذا القول على اساس فاسد وهو انَّ البشر الاوَّلين خُلقوا في حالة الهمجية لا يعرفون من دينهم ودنياهم الّا النزر القليل وربَّما زعموا انَّ الانسان نفسهُ اصلهُ من الحيوان كما انَّ اصل الحيوان من الجماد فينكرون انَّ الله هو عزَّ وجل خالق الكائنات ومكوّن الانسان من العدم ومصوره على شبهِ ومثالهِ بما افاض فيهِ من العقل والادراك وهو كما لا يخفى مزعم باطل يزيّفهُ الكتاب الكريم الذي يُعلمنا صريحًا بان الله صنع الانسان واعطاهُ نفسًا ناطقة وجعلهُ كامل الصفات ليكون ابًا لجميع البشر ويُورث ابناءَهُ من بعدهِ الحقائق التي يحتاجونها لآخرتهم

ثانيًا وليس قول التوراة هذا كلامًا فارغًا مبنيًّا على الاوهام الخيالية والمزاعم الفريَّة بل يثبتهُ تقليد كل الشعوب التي تروي كلها بلسان واحد انَّ الانسان خُلق في بداية امرهِ في حالة البرارة والمعرفة التامة والفهم المتوقد لولا انهُ فقد بتعدّيه لوصية خالقهِ مرتبتهُ هذه السامية دون ان يفقد قواهُ الطبيعية من الادراك والفهم

ثالثًا وما تقوله التوراة وتشهد بهِ الامم تؤيّدهُ الآثار القديمة الباقية من الزمن الذي سبق عهد التاريخ كالصروح العالية والابنية الشاهقة وطُرَف الصناعة من اسلحة حجريَّة ونبال صوَّانية ثم مصوغات معدنيَّة عجيبة تُرى في كل المتاحف الكبيرة ونقوش بديعة التي يرتقي بعضها الى الوف من السنين فكل ذلك يدلُّ على انَّ البشر الأقدمين كانوا على جانب من العقل ليس هو دون عقل المحدثين مع ترقيهم في العلوم. وربَّما وُجدت في هذه الآثار امور عجيبة لم يدرك علماؤنا اسرارها حتى الآن كتحريك بعض الاثقال وتركيب بعض الاعمال الصناعيَّة ممَّا يُثبت تقهقر العالم في بعض الاحيان بدلًا من ترقيهِ

رابعاً وما تقوله اجمالًا في عقول الاولين وسوء مداركهم تقولهُ خصوصاً في اعتقادهم بوجود الاله الواحد فانَّ الآثار القديمة المكتشفة حديثاً في مصر وبابل وشوشن من الكتابات الهيروغليفيَّة والمسماريَّة تنبئ بان الشعوب البائدة لم تبتدئ بالشرك والتوثن كما زعم المقتطف وانَّما كانت ديانتها الاولى الاعتقاد بوحدانية الله عزَّ وجل كما اخذتهُ من الابوين الاولين اللذين عنهما تفرَّعت القبائل والامم وان اختلفت في اسم هذا الاله الوحيد. ودونك بياناً لقولنا شواهد لا يستطيع المقتطف انكارها

﴿ ديانة المصريين الاولى ﴾ قال المسيو دي روجه أمام العلماء في العاديَّات المصريَّة (في كتابه عن ديانة المصريين الاقدمين المطبوع في باريس سنة ١٨٦٩ ص ١٢ و ١٧ و ٢٦): «انَّ اوَّل شيء نستطيع اثباتهُ هو انَّ المصريين الاولين في اقدم اطوارهم قبل موسى الكليم بزمن طويل كانوا يعتقدون بالاله الواحد الوحيد الفرد ليس معهُ اله آخر وهو الخالق لكل الكائنات ومبدع السماء والارض وما فيهما. امَّا الشرك فلا تظهر آثارهُ في الكتابات الَّا بعد ذلك اي نحو الفي سنة قبل المسيح».

وقال ماريت بك الشهير الذي اطرأ المقتطف مراراً علمهُ بالآثار المصريَّة في كتاب وصف آثار متحف بولاق: «انَّ فوق الآلهة المصريَّة إلهاً واحداً فرداً سرمداً غير مخلوق محجوباً في اعماق جوهره غير المنظور وهو خالق السماء والارض لم يُخلَق شيء الَّا به». وكذلك نحيل المقتطف الى كتب المسيو مسپرو الذي يُثني لسهُ عن تعريف مقامهِ وهو يقول في تاريخ الشعوب الشرقية القديم (الطبعة الخامسة ص ٢٧): «انَّ اله المصريين ومعبودهم الاوَّل كان ذاتاً فرداً كاملًا ذا علم ثابت وادراك تام قائماً بذاتهِ حيًّا بجوهره هو ابو الآباء وامّ الامهات الوحيد الذي لم يُخلَق ولم يُولَد»

﴿ ديانة البابليين ﴾ انَّ التوحيد بين البابليين الاوَّلين كان شائعاً بهذا المقدار حتى انَّ رينان الزنديق الشهير اراد في كتابهِ عن اللغات السامية ان يعمّم هذا القول لكل الساميين فزعم انَّ الامم الساميَّة كانت مطبوعة على عقيدة التوحيد بخلاف الامم الآريَّة التي كانت من اصلها مُشركة. وانَّما غاية رينان في ذلك ان يبطل الوحي ويجعل التوحيد كخاصَّة طبيعيَّة للساميين. وفي قوله على الاقل دليل على انَّ الساميين لم يكونوا في اوَّل الامر مشركين. وكذلك كتب لونرمان في تاريخهِ الشهير للشعوب الشرقية القديمة: «انَّ ديانة اشور وبابل في امورها الجوهريَّة شبيهة بدين قدماء المصريين او بالحري

دين كل الشعوب القديمة اعني انك اذا جرَّدتها عن قشرة الشرك التى شوَّهتها بها خرافاتُ العامَّة وجدت مبدأً اصليًا يدلُّكَ على ما اوحى به الله في اول العالم اعني وحدانيَّة الله »

﴿ ديانة الفينيقيين القديمة ﴾ قال المسيو دي فوكويه اكبر العلماء بالعاديَّات الفينيقية : من تصفَّح الكتابات الفينيقيَّة وجد الهة متعدِّدة على تعدد كل مدن فينيقية الَّا انهُ يُستَشَف من وراء هذا العدد الوافر للآلهة عقيدة الوحدة الالهيَّة . وليس بعل صور وبعل صيداء وبعل طرسوس وامثالها الَّا وجوهًا متعدِّدة للاله العظيم الوحيد حسب امكنة عبادتهِ وهو البعل الاكبر الذي رُبَّما دُعي ايضًا باسم ملكرث او باسم الملك (Moloch) وغير ذلك من الاسماء المشعرة بالاله العظيم الواحد » . وقال المسيو ف . برجه : انَّ عند الساميين تعدُّد الآلهة ينتج عن عدد امكنة عبادتها . او بالحري انَّ الشرك عندهم متوقف على تعدُّد وجوه العبادة وامكنتها اكثر منهُ على تعدُّد الاشخاص المتألهة

وكان يمكننا ان نتتبع هكذا آثار كل الامم القديمة كاهل الهند والصين واليونان فنثبت انَّ الدين عند كل هذه الشعوب كان في اوَّل الامر مختصًا بالهٍ واحد سامي السلطة كامل الصفات وخالق العالم ثم غلب عليه بتمادي الايام التوثُّن والشرك

٢ ( تفنيد القضية الثانية ) فاذا ثبت بطلان قضية المقتطف الاولى وزعمهُ بان الشعوب في اوَّل امرها كانت مشركةً ثم صارت موحدة سقط ايضًا زعمهُ الآخر وهو قولهُ انَّ عقيدة التوحيد انَّما هي نتيجة ترقّي العقل البشري مع توالي الاعصار . والنتيجة اوضح من النهار لانَّهُ اذا ثبت ان الشعوب قد ابتدأت بالتوحيد كما بيَّنَّا ثبت ايضًا بطلان قول المقتطف بانَّ الاعتقاد بوحدانية الخالق انَّما هو ثمرة العمران والتمدُّن والقولان كما ترى على طرفي نقيض

ولكن بوسعنا ان نفنِّد هذه القضيَّة الثانية رأسًا بتصفُّح التاريخ وآثار الامم القديمة فانَّنا على قَدر ما نتقدَّم في درس ترقّيها في المادّيات واتّساع نطاق حضارتها وجدنا دينها الذي كان في اوَّل الامر ساذجًا مُشعرًا بوحدانيَّة الخالق لا يزال يزيد كثافةً وغلظًا فترى عدد الالهة يتزايد الى ما لانهاية له منها آلهة ذكور ومنها اناث تزدوج وتتناكح وتلبس كل اهواء النفس الامَّارة بالسوء . فخذ مثلًا دين اليونان ودين الرومان ودين العرب القديم ودين المصريين ودين الاشوريين فان آثار كل هذه الامم

تُشير في الزمن الاوَّل الى ديانة قريبة من العقل موافقة للوحي الاصليّ بخلاف آثارها المستحدثة في الازمنة القريبة من عهدنا فان كتب تاريخ اليونان الحديثة وكتب الرومان تفصل معبودات هذه الاديان واصنامها وتسلسلها فترمينا في ارتباك لا محيص لنا منهُ. وكذلك العرب الذين كانوا اوَّلًا موحّدين على دين اسماعيل بلغ منهم الجهل الى ان يعبدوا كما قيل اصنامًا على عدد ايام السنة

وتعجَّب من المقتطف كيف يُغضي عن كل هذه الشواهد ليبني مقالهُ على شفير هارٍ وذلك رغبة في مضادة الاسفار المقدَّسة

كلَّا يا صاح ان التمدُّن والحضارة واسباب العمران ليست وحدها كافيةً لنشر عقيدة التوحيد. وكذلك كل حكمة الفلاسفة الأقدمين لم تقوَ على إقناع مدينة واحدة بوحدانيَّة الله. بل كان هؤلاء الحكماء مع سمو مداركهم وبلوغهم بحواب عقلهم الى معرفة التوحيد يتبعون ضلال العوامّ ويسجدون للاصنام ويكرّمون الطواغيت كالعامَّة. وان جاهر احدهم كسقراط بوحدانيَّة الله عُدَّ من الكفرة وجاحدي اللاهوت كما عدَّ الرومان المسيحيين الاوَّلين زنادقة لقولهم بإله واحد ونفورهم من عبادة الاوثان

ولو شاء المقتطف مثلًا قريبًا يبين صحة قولنا فهاك الهند والصين واليابان وكلها ممالك جليلة عظيمة الثروة كبيرة الشأن توفَّر فيها عدد الحكماء فهل تمكَّنت مع ذلك بعد الوف من السنين ان تترقى من الوثنيَّة الى عبادة الاله الواحد. الا تراها متسكعة في ظلمة الشرك الى ان يبعثها الله من سباتها وينيرها بانوار الدين المستتيم على يد المرسلين الذين لم يدخلوها الَّا منذ زمن قريب فصنعوا بقوَّته تعالى بسنين قليلة ما لم ينلهُ الترقي واسباب العمران بالوف من السنين

ثمَّ انهُ لو صح قول المقتطف بان حصافة الادراك وقوَّة الفهم هي التي تجلب الناس الى التوحيد لما رأينا في زماننا كبار الكفَّار الذين يدَّعون لنفوسهم الكمال ويعظمهم المقتطف يجاهرون بالزندقة والكفر فينكرون الخالق ويشيدون بقوى الطبيعة راجعين القهقرى الى توثّن القدماء. وقد عرفنا منهم من صار يعبد الشمس. والعوذ بالله

٣ (تفنيد القضيَّة الثالثة) بقي علينا ان نبطل قضيَّة المقتطف الثالثة وهي قولهُ بان الشعب الاسرائيلي لا يمتاز عن غيره من الشعوب باعتقاده في وحدانيَّته تعالى

اللهمَّ الَّا بكونهِ سبقهم لفطنتهِ وعصبيتهِ القوميَّة في نبذ الشرك واتباع دين التوحيد

ناشدتك الله يا صاح كيف امكنك بشطبة قلم، تمحو تاريخ شعب الله فتساوي بينهُ وبين سائر الامم. لا اظنك تنكر لسفر التوراة شهادة بقية الكتب التاريخية فراجع اسفار موسى واعتبر اخبار الاسرائيليين أتجد اثرًا لزعمك ؟ اما كان ابراهيم الخليل بين الكلدانيين الى ان دعاهُ الله وافرزهُ من قومهِ وعشيرتهِ ليجعلهُ ابًا لشعب كبير ومحافظًا على وديعة التوحيد التي كانت كلّ يوم تتشوَّه بخرافات الامم واوهامهم الباطلة ؟ أنسيتَ كيف خلف ابراهيم ابناؤهُ وكيف احتلَّت ذريتهُ مصر فنجَّاها الله بعد رقّ العبوديَّة من شرك المصريين واصنامهم. وكيف قام موسى الكليم فاعادهم الى فلسطين واتَّخذ كل الاحتياطات ليقيهم من آلهة الكنعانيين والامم المجاورة. وجاء من بعدهِ الانبياء فلم يزالوا يردُّون الاسرائيليين عن ميلهم الى عبادة الاصنام والربُّ يضربهم كلَّما يبتعدون عنهُ ويرحمهم اذا انابوا اليه. فهذا كلهُ واشياء كثيرة غيرها يجدها في الاسفار الكريمة طالب الحق اللهمَّ الَّا أن يغشي الكفر على بصيرتهِ فلا يرى ما هو اضوأ من النور

لمَّا احتجاجهُ بكلمة « الوهيم » وبلفظة « الترافيم » فهو باطل سبق كل آباء الكنيسة وزيَّفوهُ سلفًا. فان ورود « الوهيم » على لفظ الجمع ليس دليلًا على شرك العبرانيين وانَّما كانت لفظةً شائعة في ايام موسى للاشارة الى الاله الاعظم. ثم انَّ في نصّ التوراة نفسهِ جوابًا على هذا المشكل اذ يجمع موسى بين لفظ الوهيم والفعل المفرد فيقول مثلًا: « في البدء الوهيم خلق السماء والارض » لا « خلقوا » دلالةً على الاله الواحد الفرد. ولعلَّ ميم الجمع في هذا الاسم الكريم لمجرَّد التفخيم كما في العربية لفظة « اللهمَّ ». هذا فضلًا عمَّا وجدهُ الآباء في لفظ الجمع من التنزيه بتثليث الأقانيم في الاله الواحد الجوهر المنفرد الذات

واما « الترافيم » فان الكتبة قد اختلفوا في تعريفها ايَّ اختلاف ويقتضي ايراد آرائهم فصلًا مطوَّلًا نؤجلهُ لمرَّة اخرى ان شاء الله. ونكتفي اليوم بقولنا انهُ لا يوجد في التوراة اثر لعبادة الاسرائيليين للترافيم وغاية ما يقال عنها أنها كانت كشبه احراز او طلاسم يستثنيها بعضهم. امَّا قولهُ عن فطنة اليهود وآدابهم وعصبيتهم القوميَّة فليست سببًا لاعتقادهم بالتوحيد بل نتيجة لهُ. هذا ما كتبناهُ تلخيصًا على جناح السرعة وان اراد المقتطف ان نوسّع لهُ المقال في هذا الشأن لا تردَّدنا في تلبية دعوتهِ. والسلام

# مطبوعات شرقية جديدة

## نبذة ثالثة في المردة والجراجمة والموارنة

لسيادة المطران يوسف دريان النائب البطريركي الماروني (مطبعة الارز. ص ٤٣)

قد سُررنا بمطالعة هذه النبذة اي سرور لما وجدنا فيها من البراهين السديدة والحجج الثابتة ردًا على رأي جديد في اصل المردة بناهُ السنيور دي غوبرناتيس على محض افتراض كما صرّح بهِ حيث زعم بان المردة لم يدخلوا لبنان على عهد معاوية كما روى ثاوفان بل اتوا لبنان مع كسرى الثاني لما فتح بلاد الشام بين سنة ٦١١ و٦١٣. وسيادة الكاتب الضليع مع تسليمهِ بانَّ الموارنة ليسوا من المردة كما ارتأى سابقًا لا يصادق على رأي السنيور المومأ اليهِ يرى انَّ هذا التقدير لا سند لهُ تنقضهُ شهادات مؤرخي العرب لا سيَّما البلاذري في كلامهِ عن الجراجمة الذي اثبتهُ المشرق. فنهنّئ سيادة المطران المفضال على هذه النبذة المستملحة ونتمنَّى أن يواصل ابحاثهُ في احوال طائفتهِ الجليلة

## رسائل لغوية

تأليف جناب الاديب طاهر افندي خير الله الشويري (ص ٣٢ + ٨٠)

انَّ في هذه الرسائل المطبوعة حديثًا مطالب لغويَّة غاية في الافادة بحث فيها صاحبها الفاضل فنقَّب ودقَّق وقابل بين اقوال اللغويين الاقدمين ومحَّص آراءهم فبين ما فيها من الصواب وزيَّف المزاعم الواهنة بحجج ثابتة منها عقلية ومنها نقلية. ومضمون الكتاب رسالتان ومطلبان «رسالة المَفعَلة» بتثليث حركة العين يليها مطلب اقسام جموع التكسير الى ما يشترك بين ذي الحياة وغيرهِ وما يختص بذي الحياة. ثم «رسالة جيد» ويليها مطلب الفَعَلان والفَعْلان والفُعْلان والفِعْلان فنشكر لكاتب هذه المباحث همَّتهُ ونثني على علمهِ بدقائق اللغة ل. ش

## La Syrie agricole

par Wadi' Medawar, *Paris, Leroux*, 1903

سوريَّة الزراعية

هذا سِفر حسن نودّ لو يقتنيهِ كلّ اصحاب الاملاك ليرجعوا اليهِ في شؤونهم الزراعية ويستفيدوا منهُ الوسائل لاستثمار اراضيهم وتدارك الخلل الذي يحول دون

نجاحهم فان كساد الزراعة لا يأتي كما يزعمون من العوامل الخارجية كعدم صلاح التربة والهواء بل من الطرائق الزراعية القديمة التي يجري عليها ارباب الفلاحة دون ان يلحظوا اسباب الترقي التي نالها هذا الفن في عهدنا. ومن وقف على تأليف جناب الاديب وديع مدوّر تحقّق صحّة قولنا. فان صاحبهُ مع كونهِ تأثّر اعقاب العلماء وبحث في احوال الجوّ وطبائع التربة الكيموية وطبقات الارض قد قرّب كلّ فوائدهِ الى العقول وجعل اقوالهُ قريبة المنال. وهو لا يطيل القول في الابحاث العمومية بل يفحص كل اقطار بلادنا كفلسطين وحوران وانجاد الشام واغوارها وسهولها ليبين احوالها الزراعية وما تصلح لهُ تربتها من الغلات. هذا مع تفنيد عدّة اوهام شائعة بين العامة لا يسعنا هنا تفصيلها. وفي الكلام السابق غنًى عن الاطالة. ممّا نأخذهُ عليهِ انهُ وثق بجغرافية كونه ثقةً زائدة فاستند الى قوائمهِ واحصاءتهِ غير المدقّقة فاستنتج منها النتائج غير الثابتة. وكذلك كنّا نودّ لو اشار بضبط الى الكتب والصفحات التي اخذ عنها ليمكن مراجعة ما نقلهُ بسهولة. ويا حبّذا لو اطّلع على كتب الالمانيين في ابحاثهم الزراعية عن بلادنا كمقالات الدكتور اندرلند (Dr Anderlind) في المجلة الفلسطينية الالمانية. وممّا بالغ فيهِ كل المبالغة قولهُ انّ معدّل المطر السنوي في بلادنا يتراوح بين مترٍ و ٨٠ سنتمترًا وبين مترين و٢٥ س ولا نعلم الى من استند في قولهِ هذا. وهذه ملاحظات طفيفة في جانب الكتاب وعظم فضل صاحبهِ ه. ل

**L'Islamismo (p. 483) — letteratura Araba (p. 388)**
del dott. Prof. Italo Pizzi. *Milano* 1903

الاسلام وآداب العرب

قد اجاد الدكتور بيزي احد لساتذة كلية تورين ومشاهير المستشرقين الايطاليين بوضعهِ هذين الكتابين فانّهما مع صغر حجمهما جامعان لُباب التاريخ الاسلامي وآداب العرب بحيث يُمكن طلبة الكليّات الاوربية ان يقفوا على احوال العرب في الجاهلية ثم الاسلام منذ نهضتهِ الاولى وترقيهِ في أيام الخلافة العبّاسية مع بيان اتساع نفوذهِ ومعرفة مشاهير أدبائهِ. وفي الكتابين عدّة مقاطيع تاريخية وادبية نقلها الدكتور بيزي الى الايطالية للتنويه بفضل اصحابها. هذا ونشكر لجنابهِ اطراءهُ لتآليفنا واستمدادهِ منها ثم نحضّ ادباء بلادنا على اقتناء هذين السفرين الجليلين ل. ش

# شذرات

﴿ الهقسوس او الهكسوس واداة التعريف في العربية ﴾ جاء في المشرق ١ : ٧٨١ ما حرفهُ : « وهؤلاء الغزاة (اي الذين غزوا الديار المصرية نحو ٢٢٠٠ ق م) هم الذين يُدعَون بالملوك الرعاة واسمهم الشائع هيكسوس اي رؤساء الغزاة. » لكنَّهُ لم يذكر في اي لغة تعني اللفظة هذا المعنى. ألَّا انَّنا نرى بان اللفظة سامية الاصل مركبة من لفظتين من « هـ » و « قسوس ». فالهاء هي اداة التعريف عند قدماء العرب وهي التي تحوَّلت عصرًا بعد عصر الى « ال » التعريف الحالية. وهاء التعريف موجودة الى يومنا هذا بالصورة المذكورة في اللغة العبريَّة. وممَّا يدلُّ ايضًا على ان « الهاء » كانت قديمًا عند العرب بمنزلة ال التعريف الحالية كلمة « هُبَل » لصنم مشهور عند العرب فان اصلهُ « هُبَعل » اي « البعل » على التغليب والمراد بهِ « البعل الاكبر ». فلمَّا دخلت عبادة هذا الصنم عند العرب على ايدي النبط او على ايدي اناسٍ من العرب يُضاهون الانباط في التلفُّظ اي ممَّن لا يلفظ العين في الكلام بل يخفِّفها ويبدلها من الهمزة او الالف او الفتحة قالوا حينئذٍ « هُبَل ». او لعلَّهُ عُرف باسم « هُبَعل » ثم لمَّا شاعت عبادتهُ وكثر ذكر اسمهِ على الألسنة حُذفت العين طلبًا للخفَّة. وعلى كل حال فانَّ « هُبَل » و « بَعل » و « بَلْ » او « بل » هو صنم واحدٌ والهُ واحد في الاصل فزيدت عليهِ الهاء للتعريف. ثم انَّ هذه « الهاء » المذكورة نُقلت الى صورة الهمزة. وذلك ان كثيرين من العرب يبدلون هذه من تلك وبالعكس (راجع المزهر ١ : ٢٢٣—٢٢٨ وما قلناهُ في هذا الصدد المشرق ٦ : ١٩٠) ثم زادوا على الهمزة اللام تحسينًا للفظ — وامَّا « قُسوس » فانَّها جمع « قَسّ » بمعنى « راعي الابل » قال ابو حنيفة وابو عبيد: « القس الذي يلي الابل لا يفارقها » اه (عن اللسان في قسس) وعليهِ فيكون معنى الهكسوس « رعاة الابل » او « الرعاة » على وجه الغلبة. . امَّا من ان الجميع يكتبونها « الهكسوس » فلكونهم اخذوها عن الافرنج. واجاز العرب انفسهم ابدال الكاف من القاف في الفاظ عديدة (راجع المزهر ١ : ٢٦٨ و ٢٦٩) الاب انستاس الكرملي

﴿ فائقة الآثار الجوية في شهر شباط ﴾ بلغ المطر في شباط ١٠٧ ملمترات فيكون المجموع منذ ايلول ٥٨٥ م وهذا قليل بالنسبة الى السنتين الاخيرة. وبلغ معظم الحرارة ٢٤° مع الريح الحارَّة وقد هبط الى ٣° فيكون المعدَّل ١٣ وبلغ ميزان الرطوبة ٨٦،٥ وترل الى ٥٠ والمعدَّل ٧٣

# أسئلة وأجوبة

س وسأل من الناصرة حضرة الخوري يوسف الماروني لاي سبب يُدعى الرسل بالحواريين

تسمية الرسل بالحواريين

ج الحواري لفظة مشتقّة من اصل سرياني « حمّوٰ » معناهُ ابيض. والعرب يقولون ان رسل المسيح دُعوا بذلك لأنهم كانوا قصّارين وهو بعيد. وقالوا لانّ قلوبهم كانت نقيّة ونيّتهم صافية وسريرتهم صادقة. والله اعلم

س سُئلنا من زحلة: ١ً أيصحّ زواج الرومي الارثدكسي اذا وُجد مانع الزواج كالقرابة بينهُ وبين ابنة خالتهِ وأبى خوري رعيّتهِ ان يكلّلهُ فذهب الى البروتستانت وكلّلوهُ . ٢ً واذا وعد بمبلغ لعقد زواجهِ هل يلزمهُ دفعهُ ذمّةً

فتوى في الزواج الشرعي

ج نجيب على ( الاول ) انّ هذا الزواج غير ثابت لانّ البروتستانت لا يمكنهم ان يحلّلوا موانع الزواج المقرّرة من الكنيسة الغربية والشرقية. وعلى ( الثاني ) انهُ لا يلزمهُ دفع المبلغ الموعود مع بطلان الزواج



س وسألنا من كابتون جناب محمد افندي خليل عبد الله هل يجوز ان يُتّخذ في عماد الطفل الكاثوليكي عرّاب وعرّابة غير كاثوليكيين

العرّاب والعرّابة

ج كلاً لا يجوز لانّ للعرّاب والعرّابة فرائض نحو الطفل المعمّد لا يمكنهما ان يقوما بها الّا اذا كانا كاثوليكيّين اخصها تلقين الولد مبادئ دينهِ القويم

س وسأل د. ع. من دمشق: ١ً هل ورد ذكر موريق وموريقيان بطلي المردة في تاريخ ثابت. ٢ً هل جاء في التاريخ انّ يوستيانس الاخرم قال بالمشيئة الواحدة واضطهد القائلين بالمشيئتين

موريق وموريقيان – يوستيانس الاخرم وبدعة المشيئة الواحدة

ج جوابنا على ( الاوّل ) أنّنا لا نعرف تاريخاً قديماً ورد فيهِ ذكر القائدين موريق وموريقيان . ولعلّ احد القرّاء يمكنهُ ان يفيدنا شيئاً من امرهما. وعلى ( الثاني ) انّ يوستيانس الاخرم لم يكن من اصحاب بدعة المشيئة الواحدة وانّما اضطهد البابا سرجيوس لاسباب اخرى (راجع حواشي المشرق ١ : ٢٥٠ على مقالة سلسلة البطاركة المارونيّة) ل. ش